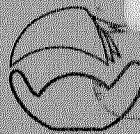


مفيد عرنوق

صرح ومهد

الحضارة السورية



دار علماء الدين منشورات دار علماء الدين

صرح ومهد الحضارة السورية

مفيد عرنوق

صرح ومهد الحضارة السورية

منشورات دار علماء الدين



حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار علاء الدين

دمشق - ١٩٩٩

الطبعة الأولى - ١٠٠٠ نسخة -

التنضيد الضوئي: دار علاء الدين للطباعة والتوزيع والنشر

التدقيق اللغوي: امثال الكفيري

الإخراج الفني: هيفاء الرفاعي

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

.....

دمشق: دار علاء الدين

ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١ - ٢٣١٧١٥٨

فاكس: ٥٦١٣٢٤١

* جميع الأفكار والآراء الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف.

* في حالة أخذ أية مادة من الكتاب يرجى الإشارة إلى المصدر:

المقدمة

وضعت هذا الكتاب ليحكي لنا قصة عهد البطولات في التاريخ السوري العربي حتى يتعرف أبناؤنا من طلبة المدارس والجامعات إلى تاريخ أمتهم ، الأمة التي أعطت العالم كل علم وفن وفلسفة ، والويل كل الويل، لمن لا يعرفون تاريخ أمتهم ، فهم إذاً أشبه بالرمال المتحركة فوق الصحارى تعصف بها الرياح فتنتقلها دون إرادتها إلى أقصى الصحارى لتغيب عن واقع وجودها وتاريخها .

إنه كتاب مختصر بقدر الإمكان يحكي قصة نشوء عهد الحضارة السورية التي مرت بأربع ثورات حضارية :ثورة العصر الحجري الحديث والثورة الزراعية والفخارية والكتابية .

وعلى هذا المهد الحضاري الذي يبدأ به تاريخ الحضارة الإنسانية يعلو صرح الحضارة السورية بدءاً من عهد الطوفان ليدخل في عهد البطولات مروراً بالملوك العظام أمثال " أرو كاجينا " و "جلجامش" و " سرجون الأكادي " و "حمورابي " الذي يتوج عهد البطولات بأروع ما أعطت البشرية من زخم حضاري إنساني ، لا يزال حتى اليوم مبعث الدهشة لدى علماء التاريخ والاجتماع . ولقد قال العالم الفرنسي " اندره بارو " بعد أن اكتشف مدينة "ماري " على الفرات : " إن كل إنسان في العالم له وطنان ، وطنه الذي يعيش فيه وسوريا " إنه قول عظيم وشهادة عظيمة على الحضارة السورية ،فحق لنا أن نفخر بها ونعتز .

كما نقرأ في هذا الكتاب تاريخ أعظم الحضارات السورية مثل " إيبلا " و "ماري و أوغاريت تلك المدينة التي في عهدها وضع أحد أبناؤها الأبجدية الكاملة التي تبنتها الأمم الحضارية حتى يومنا هذا .

كما أن هذا الكتيب يضم بين دفتيه نبذة عن حياة القواد أمثال "زنوبيا" و "هاني بعل" أعظم قائد حربي في تاريخ البشرية . وهذا الكتاب أيضاً يضم لوحة بأشهر أوائل الفكر العلمي والفلسفي أمثال "زينون" الرواقي و"بيتاغور" و"ابولودور الدمشقي" و "طاليس" أبو الفلسفة وكلهم وغيرهم الكثيرون تبنتهم "أثينا" و "روما" والأمم وقد نسييتهم أمهم سوريا . فإلى هؤلاء جميعهم وغيرهم أدعو الأجيال الصاعدة إلى التعرف على مآثرهم اعتزازاً بالفكر السوري البطولي على مرّ العصور ، ولا يزال مشعل العلم والحرية في المغترب .

المؤلف

استهلال

أستهل هذا الكتيب بلمحة موجزة عن أحوال الشعب السوري وكيفية تكونه في الشرق الأوسط ، في البقعة المسماة "سوريا الطبيعية" .

إن ما نعرفه حتى الآن يعود إلى الهجرات التي نزحت من الجزيرة العربية واستقرت في سوريا مندمجة في الشعب السوري الأصلي ومشكلة معه متحداً واضح المعالم من حيث تفاعله مع البيئة ومع بعضه البعض في متحد قلّ نظيره في العالم المتمدن .

وأما نزوح هذه الهجرات من الجزيرة العربية إلى سوريا فيعود سببه إلى الجفاف الشديد الذي اجتاحت هذه المنطقة التي كانت في الماضي البعيد خصبة للغاية تشد إليها الأقسام العربية لتعيش فيها بكل أمان وعيش رغيد . غير أن تصحر الجزيرة وبخاصة جوفها الملتهب بالرمال الحارة حصر الأقسام في أطرافها الشمالية الجنوبية والغربية حتى نهايات اليمن . فقد احتفظ هذا الشريط من أراضي الجزيرة بخيراته غير أنه لم يستطع استيعاب جميع أقسام الجزيرة العربية . وقد بحث العلماء مطولاً هذه الأقسام وتوصلوا إلى اعتبارها مؤلفة من ثلاثة أقسام عربية درجوا على إعطائها التسميات التالية : عرب البائدة وعرب العرباء وعرب المستعربة .

أما البائدة فاسمهم يدل على صفتهم أنهم أبيدوا من الوجود بعد ما طرأ على الجزيرة العربية من تغيرات جذرية في البيئة . أما كيف اختفوا وماذا حلّ بهم فالتاريخ لم يرصد اختفاءهم حتى الآن .

وأما عرب العرباء فهم الذين استقروا في الجزيرة وبالتحديد في الربع الخالي ولم يختلطوا مع غيرهم من الأقسام .

وأما العرب المستعربة فإن اسمهم يدل عليهم أي أنهم بعد دخولهم الجزيرة العربية استعربوا ومنهم إبراهيم الخليل الذي نزح من "اور" في العراق إلى "حران" في شمالي سوريا ومنها إلى فلسطين ، أرض كنعان ومن ثم إلى الجزيرة العربية حيث بنى مع ابنه اسماعيل "مكة" المكرمة .

ويرجح علماء التاريخ أنه قبل نزوح إبراهيم الخليل بعدة آلاف من السنين خرجت أقوام من البادية السورية ، تحت وطأة الجفاف واتجهت إلى الجزيرة العربية في الزمن

مهد الحضارة السورية

نقول في مستهل هذا الحديث أن سوريا هي إحدى بيئات العالم العربي وما يصيب هذا العالم من نكبات تهتزل له نفوس السوريين دفاعاً عن تراثهم، فسوريا هي صدر هذا العالم وسيفه وترسه .

إن أول ما يتبادر للذهن هو معرفة اشتقاق اسم سوريا . لقد درج المؤرخون أمثال الدكتور فيليب حتى وغيره على القول أن اسم سوريا مشتق من صور وقد يكون من آشور . أما دراساتنا الحديثة فقد أوقعتنا على مقطع في كتاب : للعالم "كونشينو" عنوانه تاريخ الحثيين والماتينين يقول فيه أنه منذ الألف الرابع قبل الميلاد بدأت تتسلل إلى سوريا عبر جبال زغروس أقوام من الرعاة الهندوأوروبيين استيقظتهم خصوبة الأرض السورية وشمسها المشعة الدافئة . وكانت لفظة سوريا تسبق أسماء ملوكهم . وبعد التفتيش الدقيق تم العثور على قاموس عربي سنسكريتي وإذ بلفظة سوريا موجودة فيه باللغة السنسكريتية ومعناها الشمس .

ومن هنا اتضح اشتقاق لفظة سوريا أي أنها من اللغة السنسكريتية وتكتب بالألف الطويلة .

بعد هذا الكشف إن اسم سوريا ومعناه الشمس، فإن أول من أطلق هذا الاسم على منطقة الشرق الأوسط أي سوريا الطبيعية هم الهندو أوروبيون أثناء لجوئهم إلى منطقة الشرق الأوسط هرباً من الصقيع والجليد ولجوءاً إلى الدفء وخصوبة التربة . وبموجب هذا المنطق تسقط تسمية سوريا عن صور أو آشور لتثبت أنها سنسكريتية .

بعد هذه المقدمة التي كان لابد منها نبدأ في عرض مهد الحضارة السورية كما سجله علماء ما قبل التاريخ، منذ الألف العاشر قبل الميلاد حتى الألف الثاني منه وباختصار قدر الإمكان . وفوق هذا المهد ارتفع صرح الحضارة السورية التي أعطت للعالم كل علم وفن وفلسفة . حتى قال فيها عالم الآثار الفرنسي " اندره بارو " بعد أن كشف آثار مدينة "ماري" : "كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يسكنه وسوريا "

ونحن اليوم نعلم جميعاً أن العلماء حددوا العصور التي مرت على الإنسان بثلاثة :

" العصر الحجري القديم والوسيط والحديث " . والقديم يقع بين المائة والعشرين سنة قبل الميلاد، والوسيط من الألف الاثني عشر حتى السادس قبل الميلاد، وأما الحديث فمن السادس إلى الرابع قبل الميلاد . وكما كانت دهشة العلماء شديدة إذ ثبت لديهم أن السوري القديم انتقل دفعة واحدة من العصر الحجري القديم إلى الحديث متجاوزاً العصر الحجري الوسيط وقد أطلقوا على هذه النقطة النوعية صفة "ثورة العصر الحجري الحديث" . وقد ثبت لدى العلماء أن العقل السوري القديم كان يعمل على أساس العقل التركيبي وهو في الكهف . وإذا سألنا كيف تم ذلك بالتحديد فنقول على لسان علماء ما قبل التاريخ وعددهم لا يقل عن خمسة عشر عالماً أنه في الألف الرابع عشر طرأت تحولات على البيئة السورية ارتفعت معها درجة رطوبة الجو والحرارة، والسوري القديم أمام هذه التحولات البيئية انتقل من الكهف إلى الشرفات الممتدة أمام الكهف ومن ثم إلى أبعد من ذلك في العراء حيث أقام له نوعين من المسكن وهما " المعسكر الدائري " والمعسكر الشعاعي" وشرح العلماء معالم هذين المعسكرين بقولهم أن المعسكر الدائري مكون من عدة خيام مجموعة بشكل دائري يجوب أفرادها الطبيعة الواقعة بين هذه الخيام تفتيشاً عن الأقوات، وأما المعسكر الشعاعي فمن خيمة واحدة واسعة تضم عدة عائلات يرودون الطبيعة في جميع الاتجاهات وإلى مسافات بعيدة ما وسعهم ذلك وهي خطوة جريئة أمام المجهول .

وفي داخل كل معسكر ، كانوا يوقدون النار ضمن أثافي مصنوعة جنباتها من الطين والحجارة ، فترأى لهم أن الطين يكسب قساوة بعد تعرضه للنار فيصبح صلباً كالحجارة إلى حد ما، فبدأوا يستخدمونه عوضاً عن الحجارة التي لم تكن متوفرة دائماً لهم . وهكذا تدرجوا في استخدام الطين المشوي عوضاً عن الحجارة في صنع خيامهم عوضاً عن أغصان الأشجار سواء في صنع الجدران أو في السقوف، وكانت هي الشرارة الأولى الحضارية في حياة إنساننا القديم في سوريا . ولما كان عقل السوري القديم التركيبي مستعداً ليعمل في الوجود بدأ بصقل الصوان ليجعل حافته قاطعه ويضع السكاكين والمثاقب والرحى لطحن الحبوب وصنع مقابض لقطع الصوان حتى يجعل قدرتها على القطع قوية وقد تحققت كل هذه الإنجازات التي تقع عادة في العصر الحجري الحديث

تحققت في العصر الحجري القديم . فالسوري القديم اجتاز دفعة واحدة العصر الحجري الوسيط، ولذلك أطلق العلماء على هذه النقلة ثورة العصر الحجري الحديث .

ومن دراسة آثار هذا العصر اكتشف العلماء سلسلة من القرى النطوفية - نسبة إلى وادي النطوف في الأردن - تمتد من جنوب سوريا إلى أعلى شمالي العراق، وقد كشفت الحفريات عن آثار العديد من القرى من جنوبي سوريا مروراً ببلبنان ودمشق وأهم هذه القرى كان في قريتي " المريبط والهريرة " وكلها قرى نطوفية بدأت في الألف التاسع قبل الميلاد، وقد تميزت به كل من قريتي المريبط والهريرة ببيوتها المبنية من الطين وبتلاصقها مع بعضها البعض، وعلى جانبي طريق يفصل البيوت عن بعضها البعض كما وجدت أقنية تصل إلى كل البيوت من على جانبي الطريق، وهي بمثابة أقنية مكشوفة لسد حاجة السكان وأهمها وجد في قرية "المريبط".

ومن مخلفات سكان هذه القرى والكهوف المجاورة ، وجدت رسوم على جدران الكهوف وداخل البيوت للثور والأيل ، للقوة التي كان يتمتع بها كل منهما فنمت عنده نزعة فنية بأن يشخصها برسوم على جدران الكهوف وداخل البيوت .

كما أن العلماء عثروا على دمي أنثوية لم يوجد من بينها أي دمية لرجل فقرروا أن المرأة دخلت في معتقداتهم بأنها الخالقة فعبدها وقد توارثت الأجيال هذه العبادة تحت أسماء مختلفة مثل "الأم الإلهية" و "عشتار" أو "انانا " إلهة الخصب إلى " اشيرة " أم الألهة و "اناة" الألهة العذراء المحاربة وإلهة الخصب . والرجل أيضاً قد خصه الأقدمون منذ العصر النطوفي باحترام يليق بقدرته الجسدية المهياً لمصارعة الحيوانات والدفاع عن أفراد عشيرته وقد برهنت على ذلك في قرية المريبط جماجم رجال مغروسة في الجدران داخل البيوت وقد أصلح الأقدمون هذه الجماجم إلى حد ما بترميم شكلها بالطين الأصفر الأحمر والعيون بالصدف، فاتفق رأي علماء ما قبل التاريخ على أن هذه الجماجم المغروسة في الجدران داخل البيوت لم تكن للزينة مادامت غير معرضة للنظر خارج البيوت وإنما للعبادة إكراماً للرجال الأقوياء المدافعين عن عشيرتهم ومن هنا برزت منذ القديم عبادة الجدود .

امتد العصر الحجري الحديث في سوريا حتى الألف الرابع قبل الميلاد حيث ظهر عصر الفخار الذي يمثل الثورة الحضارية السورية الثانية بعد ثورة العصر الحجري

الحديث . ونحن نعلم أن الفخار دخل في المصلحة النفعية إلى أبعد الحدود إذ غير إلى حد كبير نمط حياة الإنسان في القرى البدائية وبعدها بحيث باشر في صناعة الصحنون الفخارية والقدر ومختلف الأدوات المنزلية، كما أنه تفنن في زخرفتها بألوان مختلفة لا تزال تُسر الناظر إلى يومنا هذا . مما جعلها سلعة جميلة ومفيدة دخلت وعلى أوسع نطاق في التبدل التجاري داخل سوريا وخارجها .

استمر هذا الوضع حتى الألف الرابع قبل الميلاد في عشية حدوث الطوفان . ومن دراسات العلماء اتفق الرأي على أن حادثة الطوفان وقعت في بلاد "سومر" على طول ٦٢٠ كم ومئة وعشرين كم عرضاً ، وذلك اعتباراً من خليج بصرة الذي كان متقدماً باتجاه البحر إلى آخر منطقة "سومر" طولاً، وشاملاً عرضاً المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات . وهكذا وبعد انحسار مياه الطوفان تجمع الناجون في موقع عرف فيما بعد بمدينة "كيش" وتفسيرها التجمع . وقد تبع ذلك إنشاء مدن عديدة مثل اور و اوروك و اوما و اريدو استلم فيها الرجل زمام الأمور دون المرأة وقد عرف هذا العصر بعصر البطولات . وقد ساد الاعتقاد في ذلك الزمن أن صولجانات الملوك أنزلت عليهم من السماء بوساطة الإله "انليل" والإلهة "عشتار" فالصولجان كان بمثابة عقد بين الملك وإلهه حتى يحسن سياسة رعيته بالعدل والرحمة والعمل على ازدهار مدينته ، إنه عصر البطولات عصر "آدابا الصالح" الممكن مقارنته بأدم التوراة وبعصر "إيتانا" الذي رأى خلود الإنسان بولده وعصر "لوجال بندا" و "اوروكا جينا" أول مصلح اجتماعي في تاريخ العالم ، إلى ما هنالك من أبطال خلفوا لنا تراثاً غنياً نفاخر به ونعتز أمثال "اسرحدون" و"سرجون الأكادي" و "نبوخذ نصر" وغيرهم .

وبفعل نوعيات أعمال الأبطال الأوائل ، بدأت ذاكرة الإنسان تعجز عن استيعاب هذه الأعمال فكان لابد من تدوين مآثرهم مما حدا الأولين إلى اختراع الكتابة وإعلان الثورة الحضارية الثالثة ألا وهي اختراع الكتاب كما ذكرنا .. وبفعل هذا الاختراع عثر علماء الآثار على الرقم الفخارية الحاملة منجزات تلك العصور كمايلي:

أولاً : اختراع الكتابة

كما سبق وذكرنا تمّ للسوري اختراع الكتابة في الألف الثالث قبل الميلاد وربما قبل ذلك وكان تحت وطأة حاجته للتعبير عما يريد تدوينه مما كان عالقاً في الذاكرة من أعمال الملوك .

اعتمدت الكتابة الأولى على الصورة للدلالة على الحرف أو المقطع وسميت بالصورية أو ما عرف في الغرب بالهيراغليفية . ولقد قرر العلماء أنها ليست منقولة عن الهيراغليفية المصرية إنما قد تكون متزامنة معها فسميت بالمقطعية ثم باللاصقة. إن الأبجدية السورية الأولى كانت مؤلفة من ثماني عشر حرفاً تطورت فيها أشكال الحروف ست مرات دون أن تفني بالغرض المنشود حتى استقر الحرف على صورة مسمارية فوصفت هذه الكتابة بالمسمارية تبنتها كل شعوب المنطقة حتى الزمن المتأخر . ونحن نعلم من المكتشفات الحديثة أن الأبجدية الأولى تطورت على أيدي أبناء "تل براق" في شمالي سورية و "جبيل" في لبنان حيث أصبحت مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً اكملها أخيراً ابن " اوغاريت " على الساحل السوري الشمالي حتى أصبحت تضم واحداً وثلاثين حرفاً وهي اليوم أساس كل الأبجديات اللاتينية . وعندما تمّ اكتشاف أبجدية اوغاريت عيّنت المحافل العلمية الأوروبية يوماً كاملاً احتراماً لابن اوغاريت مخترع الأبجدية بحروفها الصوتية الكاملة .

ثانياً : في حقول التربية والتعليم

بنتيجة اختراع الكتابة نشأت المدارس السورية في وادي الرافدين وأولها كانت في مدينة "اوروك" و "شروباك" المعروفة حالياً تحت اسم " فارة " في " سومر " . والهدف الأساسي للمدرسة السورية الأولى كان ما يمكن أن نسميه بالكتابة والتخصص والتدريب المهني سداً للحاجات الاقتصادية والإدارية، وبالدرجة الأولى تلبية لحاجات رجال المعابد والقصور . وقد أصبحت هذه المدارس مركز البحوث والعلوم سواء في اللاهوت أو في المعارف الخاصة بالاقتصاد أو النبات والحيوان والمعادن والجغرافيا والرياضة والنحو واللغة وكل ما كان متعارفاً عليه في ذلك الزمن . ولم يكن التعليم عاماً وإلزامياً ، إنه كان مأجوراً إلى درجة أن معظم الطلاب كانوا من العائلات الميسورة .

ثالثاً : في الشؤون الدولية

سجلت المدونات أول حرب أعصاب يشنها ملك يدعى " اينمر كار " ملك "اوروك " على سيد " إراتا " في جنوبي بحر " قزوين " لأن سيد " إراتا " رفض أن يقدم إلى " اينمر كار " حجارة كريمة اشتهرت بها " إراتا " حتى ولو بالمقايضة على حبوب . ازاء هذا الرفض غير المبرر بدأ " اينمر كار " بتهديد سيد " إراتا " الذي في حال استمرار الرفض فإن الملك " اينمر كار " سوف يسلط عليه غضب الالهة "عشتار " إلهة الخصب دون إراقة دماء ورغم ذلك استمر سيد " إراتا " رافضاً طلب " اينمر كار " مما دعا هذا الأخير إلى شن هجوم على سيد " إراتا "

وأجبره على الخضوع . فيكون الملك " اينمر كار " استخدم في بداية الأمر حرب الأعصاب للتأثير على سيد " إراتا " حجباً للدماء ولكنه في نهاية الأمر اضطر إلى ذلك للحصول على الحجارة الكريمة التي لاتحتاجها " إراتا " وهذا يدل على روح العصر وقتئذٍ الذي كان يفضل فيه الناس تسوية النزاعات دون حرب إلا عندما يصبحون مرغمين على ذلك .

رابعاً : المفهوم الديموقراطي في نظام الحكم

مارس السوري القديم في الألف الثالث قبل الميلاد المفهوم الديموقراطي الذي تتباهى به في الوقت الحاضر ، أعظم الدول حضارة وادعاء بالمحافظة على حقوق الإنسان . فقد سجلت المدونات أنه في الألف الثالث قبل الميلاد مارس السوري القديم الحياة الديموقراطية البرلمانية بأبهى صورها وقد أنشأ أول برلمان في تاريخ البشرية فقد التأم هذا المجلس البرلماني في جلسة خطيرة للنظر في نزاع كان قائماً بين مدينتي " كيش " و "اوروك " ما إذا كان المجلس يقرر الحرب أم السلم .

وهذا البرلمان أو مجلس الشعب كما تم الاصطلاح على تسميته في هذه الأيام وهو مؤلف من مجلس شيوخ أو أعيان ومجلس عموم أي مواطنين حملة السلاح ومثل هؤلاء يقدرون قيمة القرار الذي يتخذونه من حيث الحرب وفي ذلك روح ديمقراطية عالية المستوى . لقد نظر في النزاع القائم بين المدينتين المذكورتين فدعي مجلس الشيوخ للنظر في هذا النزاع ما إذا كان يسوّى بالحرب أم بالسلم فاختار المجلس السلم . غير أن الملك وهو " جلجامش " الشهير الذي ارتاب بصحة القرار فأحالته على مجلس المواطنين الذي

بعد النظر في النزاع القائم بين " كيش و ارك " وما كان مجلس المواطنين هذا إلا أن قرر حسم الخلاف بالحرب و وافق " جلجامش " على هذا القرار . وهذا يدل على أن السوريين منذ القديم وحتى اليوم يؤمنون بالروح الديمقراطية أشد الإيمان لا كما يدعي الغرب في هذه الأيام بإقامة نظام جديد لحياة راقية جديدة .

خامساً : أول مؤرخ في التاريخ

نسب نزاع في الألف الثالث قبل الميلاد بين مدينتين : "لجش و اوما" أدى إلى حروب متواصلة مما حدا بالطرفين إلى الاتفاق على حفر خندق يفصل بين المملكتين . وعلى ذلك عمد مؤرخ ، وهو يعتبر أول مؤرخ في التاريخ إلى تسجيل هذه الحوادث في اطار مقبول من وجهة نظر حكومة الآلهة للكون وشئون الحياة الخاصة بعالم هذا المؤرخ . أما اسمه فغير معروف أو مدون، مما يدل على أنه كان من أتباع القصور أو المعابد. وقد اعتبر علماء الآثار والتاريخ هذا المؤرخ الأول من نوعه في العالم .

سادساً : في الإصلاح الاجتماعي

إن أول إصلاح اجتماعي مدون هو الذي وقع في مدينة " لجش " وكان على يد الملك " اورو كاجينا " إن الظروف التي أتت بالمدعو اورو كاجينا إلى الحكم كانت على يد الشعب الذي كان يزرع قبل مجيء " اورو كاجينا " تحست وطأة الضرائب لصالح القصر ومؤسساته والعائلة المالكة ورجال المعابد . وكانت هذه الضرائب شديدة الوطأة عليه إلى درجة أنه لم يقوَ على تحملها فأتى بملك جديد يدعى " أوروكلجينا " الذي بادر فوراً إلى إقامة حركة إصلاح واسعة جداً منها توزيع أراضي المعبد التي صودرت سابقاً على الفلاحين وإلغاء الضرائب وصيانة حق المواطنين والحفاظ على مصالح الأيتام والأرامل . كما أنه أعلن ولأول مرة في تاريخ البشرية حرية المواطنين تلك الحرية التي أول ما لفظت فعلى لسان " اورو كاجينا "

كان لإصلاح أورو كاجينا أثر كبير في نفوس الحكام والمؤرخين وحتى المؤرخين قبل شريعة " حمورابي " العظيم . فقبله بمائة وخمسين سنة ظهر ثلاثة مشرعين وهم " اورنمو " و " لبث عشتار " و " بلالاما " فكانوا المقدمة الأولى لشريعة حمورابي الشهيرة المتكاملة . ويقدر العلماء وجود مشرعين قبل ظهور هؤلاء قد تكتشف تشريعاتهم في يوم من الأيام .

. فالتشريع السوري هو أقدم تشريع في العالم ونحن نعلم أن التشريع الروماني قاعدة الحقوق في أيامنا هذه هو من صنع اثنين من تلاميذ مدرسة بيروت في العهد الروماني وهما " بابنبا نو " من مواليد حمص (١٤٠ - ٢١٢) قبل الميلاد و " اولبيا نو " (١٦٠ - ٢٢٨) قبل الميلاد من مواليد صور وقد شغل منصب أستاذ في مدرسة الحقوق في بيروت ومنصباً في القضاء في رومة .

سابعاً : أول سابقة قانونية في العالم

ثمة ثلاثة رجال : حلاق وبستاني وشخص ثالث غير مذكور اسمه أو مهنته قتلوا أحد موظفي المعابد اسمه : " لو- أننا " وأخبروا زوجة القنيل بمقتل زوجها واسمها " نن- دادا " وسرعان ما وصل خبر الجريمة إلى الملك فأحال القضية إلى المحكمة لمقاضاة القتلة وكان ذلك في مدينة " نفر " ويقع فيها مجمع المواطنين أو البرلمان فمثل القتلة أمام المحكمة لمقاضاتهم فانبرى تسعة رجال يتهمون القتل الثلاثة بجريمة القتل بما فيهم زوجة المغدور به بداعي أنها كتمت سر الجريمة وطالبوا بإعدام الأربعة . فانبرى رجلان في قاعة المحكمة يدافعان عن المرأة بداعي أنها لم تكن ملزمة بالإعلان عن تلك الجريمة . وبعد التداول حكم القضاة على القتلة الثلاثة بالإعدام وبراءة الزوجة بداعي أنها غير ملزمة بإفشاء سر الجريمة لأن زوجها لم يكن يعيها وقد برأتها المحكمة . بعد أن اطلع علماء الآثار على هذه المحاكمة الطريفة أحالوا قرار المحكمة إلى المحكمة العليا الأمريكية للنظر في صحته فكان الجواب بالموافقة على قرار المحكمة أي محكمة " نفر " ومن هنا يتضح مفهوم العدل لدى السوريين القدامى . وقد استمر هذا المفهوم قائماً حتى اليوم بإقرار من محكمة العدل الأمريكية .

ثامناً : في الطب

عثرت بعثة الآثار على لوح فخاري يعود تاريخه إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد يبحث في أمور طبية ويعتبر أقدم كتاب موجز في الطب والمكان الذي عثر فيه على هذا الرقيم هو في خرائب " نفر " على يد البعثة الأمريكية التابعة إلى جامعة " فيلادلفيا " . يتضمن اللوح شروحات عن كيفية تحضير الأدوية من مراهم وقطرات مستخرجة من جذور وقشور الاشجار ومن المعادن مثل ملح الطعام ونيترات البوتاسيوم (ملح البارود)

ومن المواد النباتية مثل القاسيا، والآس والحلتيت والزعتر والصفصاف ، والكمثري والشربين والتين والتمر ... وكانت العقاقير تهيأ إما من البذور أو الجذور أو الفروع أو اللحاء أو الصمغ ويحتفظ بها على هيئة مادة صلبة أو مسحوق . وكانت تستعمل تلك الأدوية كما ذكرنا إما بشكل مراهم أو قطرات .

ولقد صرح العلماء بعد ترجمة اللوحة الفخارية الطبية أن هؤلاء الأقوام كانت لهم دراية بعلم الكيمياء ومما يؤسف له لم يعثر العلماء على معلومات حول الأمراض التي كانت تتطلب مثل هذه العلاجات مع الأمل المستمر أنها ستكتشف في يوم من الأيام .

تاسعاً : في الزراعة

برع السوريون القدامى بالزراعة وكان ذلك بدءاً من الألف السابع قبل الميلاد سواء في وادي الرافدين أو في جنوبي سوريا في " أريحا " على سبيل المثال . فقد عثر العلماء على لوح فخاري بمثابة دليل زراعي يشرح فيه واضعه الطريقة المثلى في زراعة الشعير ، بدءاً من نزع الأعشاب قبل البذور والحراثة وبذر البذور في أثلام مستقيمة إلى الحصاد والدراسة وجمع الحبوب بعد غسلها . فإذا ما قارنا قواعد الزراعة المشروحة في هذا الدليل مع القواعد الحديثة لما استطعنا إضافة أي شيء إليها . ومن أجل عملية الحرث فقد اخترعوا المحراث التقليدي المستعمل حتى أيامنا هذه، غير أنهم كانوا يضيفون إليه انبوباً معلقاً خلف السكة يتساقط فيه البذار فيرتمي في التلم وهي طريقة مثلى في زراعة الشعير والقمح .

ويعتبر هذا التقويم أول وأقدم تقويم زراعي عرفته البشرية .

عاشراً : في البستنة

ومما يدل على تقدم الزراعة في سوريا أنهم حاولوا غرس الأشجار وبخاصة نوع " السَّرْبَتُو " الذي ينمو على ضفاف الأنهار ويصلح مصدات للرياح . وحكت لنا الرقم الفخارية القصة التالية :

" كان يعيش في قديم الزمان بستاني اسمه " شيكلوتودا " لم ينل سوى الإخفاق في إقامة بستنة في أرضه . وبالرغم من عنايته الكاملة بإرواء جميع أخاديد وأجزاء البستان كان اليبس يحل بغراسه حتى الموت . وكانت الرياح الهوجاء تلطم وجهه بغبار الجبال وكان

كل ما يראה ويعتني به يتحول إلى قفر وخراب . وعندئذ رفع عينيه شرقاً وغرباً إلى السماء ذات النجوم الكثيرة ودرس نذر الآلهة وارادتها وبعد أن نال الحكمة الجديدة من جراء تطلعه إلى السماء غرس شجرة " السربتو " في بستانه . وهي شجرة يبقى ظلها الوارف من مطلع الشمس حتى مغربها . وبنتيجة هذه التجربة الناجحة في فن البستنة ازدهر بستان " شيكلوتودا " بجميع أنواع النباتات الخضراء اللون . وحدث ذات يوم أن الآلهة " انانا " (وهي عشتار إلهة الخصب) كانت قد عبرت السماء والأرض واضطجعت قرب بستان " شيكلوتودا " لتريح جسدها المنهوك من التعب . لقد راقبها البستاني وانتهر فرصة اعيائها وضاجعها . ولما طلع الصباح واشرقت الشمس نظرت " انانا " حواليتها في دهشة وذعر لما حلَّ بها وآلت على نفسها أن تجد ذلك الإنسان الغاني الذي انتهك حرمتها وجلَّها بالعار وتنتقم منه ، فسلطت على بلاد سومر ثلاثة أنواع من الأوبئة وهي إن ملأت جميع آبار البلاد بالدم فاصبحت كل احراش النخيل والكروم ملأى بالدم وسلطت رياحاً وعواصف مدمرة على البلاد أما البلاء الثالث فطبيعته مجهولة (بسبب تحطيم اللوحة) وتابعت " انانا " التفتيش عن " شيكلوتودا " وما كان هذا الأخير إلا أن عمل بنصيحة والده فلجأ إلى أصحاب الرؤوس السوداء وهم قبائل " كينجو " واختبأ عندهم ونجا من غضب " انانا " إذ لم تعثر عليه "

هذه الصورة معقدة كما يرى القارئ ومن الصعب تفسيرها . وكل ما تدل فعلى قبائل " كينجو " ذوي الرؤوس السوداء فلم يكونوا من أتباع " انانا " ولذلك لم تعثر عليه . ويدل هذا على أن ما يقول عنهم أبو السمریات " صموئيل نوح كريم " أنهم سومريون ليسوا سوى قبائل " كينجو " تسللوا إلى وادي الرافدين طمعاً في خصوبة الأرض والعيش الهادئ . وأما ما يقول عنهم العالم كريم فإنهم مزيج من عدة أقوام يعود نسبهم إلى منطقة سومر كما اصطلاح الأكاديون أن يطلقوا على منطقته اسم سومر .

الحادي عشر : في الفلسفة

سجل السومريون القدامى أول آراء للإنسان عن أصل الكون وفلسفة الكائنات . ونظرتهم تلك المتعلقة بأصول الأشياء ونظام الكون لم توضع بشكل صريح واضح . فالمنهج العلمي الذي يدور على التعريف والتعميم كان خافياً عليهم فلم يأخذوا بمبدأ العلة والمعلول كما أنهم لم يسألوا عن كيف ولماذا ؟ ذلك المبدأ الفلسفي القائم في وقتنا

الحاضر، إذ اكتفوا ببحث الظواهر الطبيعية وكأنها حقائق لاهوتية يقينية . وهكذا تركز تفكيرهم على استنتاج وجود ما يمكن تسميته. " البحر الأول" وهو يمثل بنظرهم السبب الأول لكل شيء في الكون . كما أنهم لم يتساءلوا عما كان الوجود قبل "البحر الأول" سواء في الزمن أو المكان . واعتقدوا انه في هذا البحر ولد الكون أي السماء والأرض يفصل بينهما " الجو " المتحرك المتمدد ومن الجو تولدت الأجرام النيرة مثل القمر والشمس والكواكب والنجوم . وقد أعقب انفصال السماء عن الأرض المرتبطتين بالجو بروز الحياة النباتية والحيوانية والبشرية .

أما من خلق هذا الكون الثابت على مرّ الدهور فقد افترضوا وجود مجموعة من الآلهة أشبه ما تكون بالإنسان ولكنها أعلى منه وخالدة . كما أنها محتجبة عن رؤية الإنسان الفاني وهي تسيّر الوجود وتسيطر عليه وفق نوااميس ثابتة . كما اعتقدوا أن كل إله منوط به جزء خاص من هذا الكون مثل السماء والأرض والبحر والهواء ومجموعة الأجرام السماوية الرئيسية مثل الشمس والقمر والكواكب وقوى الجو وعناصر الرياح والزوابع والعواصف . وعلى الأرض الأنهار والجبال والسهول والحقول والمزارع وحتى الآلهة والأدوات كالفأس وقالب الآجر والمحراث . والذي قادهم إلى هذه الاستنتاجات كما استنبطوها انتقلهم العقلاني من المعلوم إلى المجهول . إذ تصوروا أن البلدان والمدن والقصور والمعابد والحقول والمزارع كلها تقع تحت رعاية حية من البشر . وعلى هذا الأساس تكون القوى الطبيعية التي لا يستطيعون ملامستها وواقعة تحت رعاية كائنات حية على هيئة البشر ترعى شئونها وتسيّر ها . ولولا ذلك لاختل نظام الكون واضمححل . وهذه الكائنات أطلقوا عليها اسم " دنجر " وترجمتها إله وهي غير مرئية ومتفاوتة القدرة ، كما هو الحال في المدن التي يحكمها ملك ومسؤولون آخرون .

لقد افترضوا وجود سبعة آلهة يقدررون المصائر وخمسين إلهاً لقبوا بالآلهة الكبار . وقد وا بين الآلهة الخالقة وغير الخالقة . فالخالقة هي السماء والأرض والبحر والجو وإن ظاهرة أخرى لايمكن أن توجد إلا من ضمن هذه القوى الأربع ، علماً بأن القدرة نة في الخلق لدى الآلهة هي " الكلمة " أي ارادة الله . والكلمة هذه أصبحت عقيدة ، جميع شعوب الشرق الأدنى حتى يومنا هذا. على أساس "كن فيكون" ونحن اليوم في بر العلم والكشوفات لانستطيع أن نطالب الأقدمين بأكثر مما قدموه في فلسفة الكون .

الثاني عشر : أول مثل عليا

إن نظرة السوري القديم إلى الكون والحياة قادتهم إلى الاعتقاد بأن الإنسان إنما خلق من أجل عبادة الآلهة وتزويدها بالطعام والشراب والمسكن حتى يتاح لها القيام بأعمالها دون انقطاع . ومن مراقبتهم للحياة الإنسانية اعتقدوا أن هذه الحياة يكتنفها الشك والانتباس وهي معرضة للأخطار . فالإنسان لا يعرف سلفاً المصير الذي رسمته له الآلهة .

وأما الحياة الثانية بعد الموت فتكون في عالم الظلام ، العالم الأسفل الرهيب وهي صورة بئسة عن الحياة الأرضية . ومن خلال هذه النظريات كان السوري القديم يؤمن بالقدرية فهو مسير غير مخير . ونحن نعلم من مدونات الأقدمين أنهم كانوا على خلق رفيع فكانوا محبين للصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة . كما كانوا يمتقنون المعصية والضلال والقسوة وتحجر القلب . وكان ملوكهم يتباهون بإقامة العدل والنظام وكل ذلك مستقى من تعاليمهم الدينية . كما أنهم راقبوا النفس البشرية فتجلت نظرهم إلى الحياة عبثوا بها بمأثال إنسانية عامة صالحة لكل زمان ومكان . وقد دون الأقدمون على لسان الإله " خاي " وهو زوج الآلهة ندابا إلهة الحساب والكتابة سخط الآلهة على من :

- تخطى حدود النظم المقررة، ونقض العهود والعقود ونظر نظرة رضا إلى مواطن الشر

- سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له

- من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير

- من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير

- من أكل ما ليس له ولم يأكل أكلته

- من شرب ما ليس له ولم يشرب شربته

- من قال لأكلن ما حرّم

- ومن قال لأشربن ما حرّم

كما أنهم دونوا ما تحلت به الإلهة " نانشه " إلهة " اور " من صنوف العدل والرحمة إذ وصفت بما يلي :

- تواسي اليتيم ولا تهمل الأرملة .
 - تعدد الموضع الذي تهلك فيه الأقوياء
 - وتسلم الأقوياء إلى الضعفاء
 - إن " نانشه " تنفذ إلى قلوب الناس
- هذه هي عقلية السوري القديم وأخلاقه ونظرته إلى الحياة في العهد الوثني قبل أن يعرف الله الأوحد خالق البشر . إنها وثنية غارقة في مكارم الأخلاق والمثل العليا .

الثالث عشر : في العذاب والتسليم

إن قصة أيوب التوراتية التي نتغنى بها منتحلة عن القصة السورية التي يدعى بطلها " يسري مشري شاقان" فهذا الرجل السوري كما جاء في الرقم الفخارية غمرته النعمة من كل جانب مالا وجاهاً وقوة وفجأة توالى عليه الأحداث وفقد ثروته وجاهه كما أصيب بالأمراض فتألم وتعذب إلى أبعد الحدود . وكما جاء في قصة أيوب التوراتية المنتحلة عن قصة " شاقان" قد عاده ثلاثة من اصدقائه ورثوا لحاله واخذوا يشككونه بلإله " مردوخ " غير أن " يسري شاقان " أبى الانصياع إلى آرائهم وبقي ثابتاً على إيمانه لا يتفكك عن الابتهاال إلى " مردوخ " مردداً قوله الشهير : " إن ما نراه خيراً قد يكون بنظر الاله شراً وما نراه شراً قد يكون خيراً . " واستمر " يسري " على هذا الإيمان حتى استجاب إليه الإله " مردوخ " وأعاد له صحته وجاهه السابق . إنها قصة الإيمان وفلسفة سجلها لنا السوري القديم وسرقتها كتبة التوراة تحت اسم " أيوب " وراحت مثلاً .

الرابع عشر : الأمثال

تدل الأمثال السورية القديمة على عمق المفهوم الإنساني وتشكل قاسماً مشتركاً بين جميع أبناء الحضارات حتى يومنا هذا كقولهم :

" - لقد ولدت يوم نحس . (ويعنون بذلك القضاء والقدر ازاء الفشل) "

" - أكون حمل دون جماع (وهذا يمثل العلة والمعلول)"

" - سهل تحدث سمعة دون أكل . "

وكقولهم في الأفراد الفاشلين :

" - لو وضعت في الماء لفسد الماء "

"- ولو وضعت في البستان لبدأت أثماره تفسد "

وقولهم :

"- كتب علينا الموت فلننقق

"- وما دمنا نعيش عمراً طويلاً فلنقتصد

ويقولون :

"-خير للفقير أن يموت من أن يعيش"

"- فإذا حصل على الخبز عدم الملح "

"- وإذا كان لديه الملح عدم الخبز "

"- وإذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل "

"- وإذا كان عنده الحمل فيكون قد فقد اللحم "

ويقولون في الإنفاق :

"- يقضم الفقير فضته "

"- يقترض الفقير فتركبه الهموم "

ويقولون في ثورة الشعب على الطبقة المثرية :

"- ليس كل عيال الفقراء مستسلمين على السواء

ويقولون في الفقير الذي أخفق في عمله دون أن يكون مقصراً :

"- إنني جواد أصيل ولكنني ربطت مع بغل

"- ووقع علي أن أجرَ العربية وأحمل القصب والأكداس

كما كانوا يقدرون قيمة اللباس كقولهم :

- كل فرو يميل إلى الشخص الذي يلبس الحلة الفاخرة ويقولون في المرأة:

- المرأة البرمة القلقة في البيت تضيف عذاباً إلى عذاب

- القلب الفرح - العروس

- القلب المغتم - العريس

ويبدو أن الكنة كانت ذات منزلة رفيعة كقولهم :

- محل التجارة في الصحراء هي حياة الرجل

- والنعل يمين الرجل

- والزوجة مستقبل الرجل

- أما الكنة فشیطان الرجل

وهناك الكثير من هذه الأقوال وكلها تدل على عمق فهمهم للإنسانية الإنسان

خامساً : في المناظرات

كان السوريون القدامى دقيقی النظر في دراسة الطبيعة البشرية فهم أسلاف
الانثروبولوجيين الحديثین وقد عكفوا على تحليل عناصر المدينة وجزأوها إلى أكثر من
مائة نظام وحرفة وصنعه وميول وأساليب عمل . ولاحظوا أن العديد من هذه العناصر
متربط بهيئة أزواج متناقضة مما أثار عندهم أسلوب الجدل . فظهرت المناظرات . نقدم
هنا واحدة منها على سبيل المثال وهي المناظرة بين الراعي والفلاح أو ما نسميه بين
البداوة والحضارة.

إن المناظرة التي نقدمها هنا باختصار هي بين الراعي " أيماش " والفلاح " لينتين "
فعندما نشأت المستعمرات الزراعية كان الرعاة يسطون على المستعمرات معتقدين أن لهم
الحق في ذلك فراح كل من الراعي والفلاح يتباهى بأعماله وقد دعاهم ذلك للاحتكام إلى
الإله " انليل " وفي حضرة الإله اخذ كل من المتخاصمين يشيد بأعماله وأنه أحسن من
أخيه وكان ذلك لوقف الصراع القائم بينهما .

قدم الراعي مقدمة إلى الإله من مواشيه والفلاح مقدمة من انتاج الأرض وبعد أن استمع
الإله " انليل " إلى دموع كل واحد منهما تقبل مقدمة الفلاح " لينتين " معلناً أن الفلاح أهم
من الراعي وبموجب هذا الحكم تكون الزراعة قد انتصرت على حياة الرعي ووجبت
المحافظة عليها من كل اعتداء ، وازاء هذا الحكم تنتفي العداوات بين أصحاب المزارع
والرعاة وما كان من الراعي إلا أن ركع أمام أخيه وتصالح الإخوان .

تذكرنا هذه القصة بالقصة التي انتحلها اليهود تحت عنوان " قايين وهابيل " وهما الفلاح
والراعي المتخاصمان . تماماً كما حدث في القصة السورية غير أن القصة التوراتية بعد
أن لفظ الإله الحكم لمصلحة الزارع أي لمصلحة " قايين " قام هذا الأخير وقتل أخاه
الراعي فما معنى هذا التحريف المغاير لمضمون المناظرة السورية ؟ إن كتبة التوراة
ارادوا بالفلاح " قايين " أن يمثل الشعب الكنعاني المزارع وأن يكون " هابيل " الراعي

ممثلاً للشعب العبري وهذا واقع تاريخي لأن الكنعانيين كانوا بناء مستعمرات زراعية وأما العبريون فكانوا رعاة قائمين في المرتفعات . إن كاتب التوراة أراد أن يوصم الكنعانيين بالقتل وأن العبريين أي اليهود بمن وقع عليهم الغدر . فالنزاع الذي قام بين اصحاب المزارع والرعاة انتهى بجريمة قتل وحقد مرير على الكنعانيين وهذا ما أراد كتابة التوراة تسجيله .

السادس عشر : في أدب الملاحم

إن أروع ما أتى به السوري القديم في عصر البطولات هو أدب الملاحم كملحمة " أدابا " الرجل الصالح والملك " إيتانا " الذي وجد خلود الإنسان بالولد " جلجامش " ملك " أوروك " وجد الخلود بالأعمال وثمة ملاحم أخرى مثل ملحمة " كيريت " الملك الكنعاني " وايتركار " وغيرهم . أما أهم هذه الملاحم فهي دون تردد ملحمة " جلجامش " التي تنقلتها جميع شعوب المنطقة على مرّ العصور حتى أيامنا هذه لما فيها من دراسات نفسية عميقة مثل :

- معاقبة جلجامش من قبل الآلهة إذ أرسلت إليه إنساناً متوحشاً عله يقضي عليه أو يحد من طغيانه وظلمه .

- الصراع العنيف بين "جلجامش" والإنسان البدائي المدعو " انكيـدو" دون أن تكون لأحدهما الغلبة .

- ترويض انكيـدو" على يد غانية المعبد حيث لازمت " انكيـدو " سبعة أيام وسبع ليالٍ حتى روضته وجعلته إنساناً سوياً وأصبح صديقاً "لجلجامش" خاض معه أصعب المحن وانتصر عليها .

- ومن ثم يموت " انكيـدو " ويحزن عليه "جلجامش" حزناً عميقاً ويخشى " جلجامش " أن يكون مصيره مثل " انكيـدو " . فأمام فكرة الموت يذهب "جلجامش" إلى مقر " اوتنايشـتيم " (نوح التوراة) ليفهم منه سر الخلود فيدله " اوتنايشـتيم " على نبتة في قعر البحر ولما حاول جلجامش الحصول على هذه النبتة بواسطة ملاح " اوتنايشـتيم " تمّ له ذلك فأخذها وعاد أدراجه إلى مملكة " أوروك " . وفي الطريق وجد ماءً فهمّ للاغتسال فيها بعد أن وضع النبتة قرب الماء . ولكن حية كانت هناك فشمت رائحة النبتة واستلت

إلى حافة الماء وسرقت النبتة فأصبحت الحية بواسطة هذه النبتة خالدة والدليل على ذلك ظاهرياً تخليها عن جلدها كل سنة تجديداً لحياتها . وأما "جلجامش" بعدما علم بما فعلته الحية قال في نفسه إن الإنسان محكوم عليه بالموت ولا مجال هناك ليكون خالداً . فخلوده لا يمكن أن يكون إلا بإعماله . وفي ضوء هذا القرار رجع "جلجامش" إلى مملكة "أوروك" يحسن فيها معالمها ويبني سوراً اشترك هو في بنائه ويحكم بالعدل والحق حتى أصبح خالداً اسمه أبد الدهر .

وفي هذه الملحمة الكثير من العبر الفلسفية وما يتعلق منها بالصدقة ودور المرأة في تهذيب الرجل كما فيها وصف القلق والحزن والخوف من عالم بعد الموت . هذه هي بإيجاز كلي ملحمة جلجامش الشهيرة وهي أدق وأعمق من كل ما جاء به "هوميروس" الذي يلقبونه بأبي الملحمة في العالم بينما ملحمة "جلجامش" تسبقه بألف وخمسمائة سنة . ولقد آن لنا أن نكشف الغطاء عن رجالتنا الأقدمين إحياءً لذكراهم واعتزازاً بأعمالهم .

والى هنا نتوقف عن شرح مهد الحضارة السورية التي اعطت العالم اغنى ما يمكن أن يعطيه شعب من الشعوب أعطت أمثال : "أوروكاجينا" أول مصلح اجتماعي في التاريخ وحمورابي " اعظم مشرع ورجل دولة في سوريا الطبيعية، و "أبولودور الدمشقي" أشهر المهندسين المتفوقين على مهندسي " أثينا" و"روما" وصانع أول جسر على نهر الدانوب، وواضع اسس الهندسة العشرية، ومصمم اروع ساحة وأهم مكتبة وسوق في روما، وأمثلة " بيتاغور" و " زينون" وواضعي الحقوق الرومانية " ولونجن" وزير الملكة " زنوبيا" ومئات الفنانين الصناعيين من ناقشي الحجر والذهب والفضة والمرمر والخشب وصانعي الفسيفساء وكلهم مذكورون في هذا الكتاب تحت فصل " رواد الفكر الأوائل" والملوك والقواد الأوائل ...

إن سوريا رفعت مشعل الحرية في العالم ومشعل العلم والمعرفة ولما تزل ، وفي أيدي أبنائها في المغترب تلك الشعلة التي جعلت من سوريا معطية العالم كل علم وفن وفلسفة حتى جاز كما سبق وقلنا بلسان " اندره " بارو" مكتشف مدينة " ماري " " إن كل إنسان في العالم له وطنان ، وطنه الذي يعيش فيه وسوريا .

صرح الحضارة السورية القديمة

الحاضرات الكبرى وأوائل الملوك والقواد ورواد الفكر

فوق المهد السوري الحضاري الدافئ ارتفعت صروح الحضارة السورية بكل ما فيها من رونق وعظمة وجمال . فتهافت العلماء من كل فج وصوب إلى الرقعة السورية المعروفة مؤخراً وعلى لسان العالم التاريخي الأمريكي " بريستد " بالهلال الخصيب . وما كان أشد إعجابهم بالمكتشفات الأثرية التي أباط عنها اللثام علماء التاريخ والارخولوجيا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم ولا يزال الحفر مستمراً . ولا تزال الآثار واللقى تبتسم لوجه الشمس تحت المعاول . وإذا بسوريا نبغ غزير من الحضارة غيّر وجه التاريخ إذ لم يكن بين أيدي المؤرخين أكثر من كتاب التوراة يستندون إليه في أبحاثهم وإذا باللقى السورية تهزأ بما كان بين أيدي العلماء من ثوابت كما كانوا يعتقدون وإذا بالحضارة السورية تكشف القناع عن مكنوناتها فهي الزينوع الغزير الذي عرفت منه الأمم كل علم وفن وفلسفة حتى قال أحدهم وهو العالم " اندره بارو " مكتشف مدينة " ماري " : إن كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يعيش فيه وسوريا . وإلى جانب هذا القول المأثور أقوال أخرى لعلماء كبار سنأتي على ذكرهم متى دعا الشرح إلى ذلك . والآن نبدأ بشرح معالم الحضارات السورية الكبرى وهي : أوغاريت وماري وإيبلا

حاضرة أوغاريت

تاريخ حفريات أوغاريت :

إن أول معول أيقظ حضارة أوغاريت كان في نيسان ١٩٢٧ بدأ الحفر في تل يدعى " رأس شمرة " وقد كشف عن خمس مدن أو خمس سويات حضارية متراكمة بعضها فوق بعض واستمر الحفر حتى عام ١٩٣٤ ، قبل اشتعال نار الحرب العالمية الثانية . وفي علم ١٩٦٠ استأنفت بعثة " شيفر " الفرنسية أعمالها بترخيص من الحكومة السورية وكانت هذه البعثة تستأنف أعمالها في كل خريف من كل سنة وكانت مديرية الآثار العامة يزداد اهتمامها يوماً بعد يوم بالمكتشفات الحاصلة . وقد أبانت هذه المكتشفات أن أثار الفخار المكتشفة تشبه فخار سوريا الداخلية ووادي الفرات الشمالي مما يدل على أن شعوب هذه المنطقة لها ملامح متشابهة .

رأس شمرة وبلاد ما بين النهرين والحثيين والمصريين والهوريين :

يبدو جلياً أنه كانت " لرأس شمرة " علاقات مع بلاد ما بين النهرين . في الألف الرابع والقسم الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت هذه العلاقات متأثرة بالمدينة " السومرية " والكلدانية " بدليل أن البطل " جلجامش " كان قد اكتشف سوريا الشمالية ومن بعده الملك " سرجون " الأكادي في القرن الثامن والعشرين . وفي الثالث والعشرين قبل الميلاد والرابع والعشرين منه يبدو أن ملوك " اور " من السلالة الثالثة اهتموا بالمناطق الغربية على غرار أسلافهم البابليين . إن تأثير بلاد ما بين النهرين بدا واضحاً من الفخار المكتشف فهو فخار ناعم ، يحمل ألواناً مختلفة وهندسات ذات ألوان مختلفة : الأسمر الغامق ، والبنفسجي والأسود والأصفر الفاتح والرمادي . كما تبين أن دفن الأموات في قوارير كان مألوفاً ومنذ هذا العهد أصبحت المدينة التي عرفت باسم " اوغاريت " محط انظار رجالات اسيا والبحر المتوسط.

والجدير بالذكر هنا أن مدن الساحل السوري كانت على علاقات وثيقة مع بعضها البعض كما أن نشاط "رأس شمرة " الاقتصادي ازداد في عهد السلالة الحادية عشرة والسلالة الثانية عشرة في مصر وفي عهد " حمورابي " في العراق القديم . وفي هذا العهد بالذات أنشئ معبد "داجون " ومعبد " بعل " وفي هذا العهد أخذت المدينة اسم "اوغاريت " ويعني الحقل " كما أن الاله " داغون " يعني الحبوب وتتلاقى اللفظة في اللغة الكنعانية مع لفظة "دجن" العربية

وعلى أساس الحركة الاقتصادية في اوغاريت وموقعها التجاري استراتيجي اقامت لها علاقات واسعة مع المصريين والحثيين والهوريين والكريتيين وكانت السيطرة الكبرى في اوغاريت للمصريين والهوريين .

السلالة الملكية الأوغاريتية :

يمكن تنظيم قائمة ملوك سلالة أوغاريت على الوجه التالي :

نقدم الأول القرن الثامن عشر أو التاسع عشر ق.م .

بقاروم الثاني

القرن الخامس عشر

ايبرا

باقاروم الثاني

اميسثمار الأول

منتصف القرن الرابع عشر . ق . م .

نقمد الثاني

القسم الأخير من القرن الرابع عشر . ق . م .

ارحالب ، نقمبا

النصف الأول من القرن الثالث عشر .

امسثمار الثاني

امبيرانا

نقمد الثالث

حمورابي (غير حمورابي ما بين النهرين)

هدم أوغاريت

يتضح من كتاب اشوري وجد في رأس شمرة أن بلاد اوغاريت كانت تحكمها ملكة في القرن الثالث عشر . ق . م . كما يستدل من الكتاب المذكور أن اوغاريت كانت على علاقات وثيقة مع بلاد " اشور " وفي هذه الأنباء أي في نهاية القرن الثالث عشر وبدء الثاني عشر غزت شعوب البحر مدينة اوغاريت آتية من البلقان والسواحل اليونانية واستولوا على المدينة وهدموها ومن ثم تابعوا مسيرهم نحو الجنوب .

بعد هدم أوغاريت

استمر موقع اوغاريت مرفأ ناشطاً للتجارة اليونانية بالدرجة الأولى في القرن السادس عشر والقرن الخامس .

مرونة الملك "نقمد الثاني" في السياسة :

سبق وذكرنا أن علاقة اوغاريت بالفراعنة والحثيين كانت متينة . وقد رأى الملك " نقمد " أن من مصلحة مملكته المحافظة على هذه العلاقة المزدوجة ، إلى حد أن بعض الرسائل كانت تعنون بعنوان " الملك الشمس " ومن المعروف أن هذه الصفة كانت تنطبق على الملك الحثي وعلى " فرعون " على السواء فإذا ضاعت رسالة بهذا العنوان فلا يعرف ما إذا كان لقب " الملك الشمس " يعني فرعون أو الملك الحثي . هذه الحكمة في السياسة أبقت اوغاريت بعيدة عن الصراع الحثي الفرعوني . وهذا ما أوصى به الملك خلفاءه .

حتى أن زواجه من أميرة مصرية لم يمنعه من تأدية الجزية إلى جيرانه في الشمال ،
الحثيين . وهذا ما دعم استقرار ملكهم فترة طويلة . وازداد ازدهار أوغاريت بعد معركة
قادش بين الحثيين والمصريين في عام ، ١٢٧٦ ق. م . وقد ظهر هذا الازدهار في
مفروشات المدافئ العائلية العائدة إلى القرن الثالث عشر . كما أن أوغاريت قد ازدهرت
أيضاً بفعل تعاملها مع الإيجيين والقبرصيين منذ بدء الألف الثاني ومع مصر منذ القرن
الخامس عشر كمستعمرة مصرية .

هدم أوغاريت :

تبين في الكتابات الآشورية أن أوغاريت كانت تحكمها ملكة في القرن الثالث عشر كما
كانت لها علاقات وثيقة مع آشور .

والذي قضى على أوغاريت كان بفعل هجوم "شعوب البحر" عليها في نهاية القرن
الثالث عشر وبداية الثاني عشر . وقد جاءت هذه الشعوب عن طريق البلقان والسواحل
الشمالية من البحر الأسود وقد التحمت معها شعوب البلاد اليونانية فانطلقت واحتلت "
أوغاريت وهدمتها ثم تابعت سيرها نحو الجنوب .

لم يبقَ تل رأس شمره بعد هدم أوغاريت قفراً بل استمر مركزاً تجارياً تحت أيدي
اليونانيين والإيجيين وغيرهم ممن سكنوا أوغاريت . وقد تأيد ذلك بوجود عملة فينيقية من
أرواد يعود تاريخها إلى ١٢٥٠ قبل الميلاد ومدافن يونانية من عهد السلوقيين وعدد وفير
من قطع العملة الرومانية وبعض القطع العربية والتركية وجدت كلها على سطح التل .

الحضارة الأوغاريتية :

البلاط : دلت اللقى الأثرية أن سلطة ملك أوغاريت كانت مطلقة ، فهو الرئيس
السياسي والعسكري معاً . إن سعة القصر واللقى التي وجدت فيه تدل على العظمة وتدل
على ذلك الصفائح الذهبية الكبيرة والكثيرة من المفروشات المحروقة . وقد وجدت بين
الرماد أوان ذهبية كثيرة وبقايا صناديق صغيرة من العاج وأوان من اللازورد وعدد كبير
من الصناديق الصغيرة المصنوعة من الرخام الملون والعقيق وغيرها مثل رخام
الديوريت المرسل من مصر إلى ملك أوغاريت والعديد من الكراسي المذهبة .

أما الملكة فكان لها دور هام جداً في البلاط بدلالة الكتب الموجهة إليها من قبل بعض الشخصيات يطلبون وساطتها لدى جلالة الملك . وأما فيما يتعلق بثيابها وحلاها فتدل المعلومات على حياة البذخ . ولقد دلت مفردات حلى الملكة أخت " ملكو " على وجود عقود ذهبية مرصعة بأحجار كريمة وخلخل وأساور وكأس من الذهب وكؤوس من الفضة وزنانير من الذهب وعشرين علبة تبرج الخ.

هذا وقد كان الملك يعاقب المسيئين في البلاط بقسوة شديدة والأمثلة على ذلك كثيرة وكلها وجدت مدونة .

التنظيم العسكري :

كانت أوغاريت تخشى الغارات المفاجئة عليها سواء من قبل الحثيين أو المصريين أو من قبل قراصنة البحر ولذلك أقامت حصناً في أوغاريت يطل على البحر يحمي المدينة وخاصة القصر . وكان هذا الحصن موضوعاً تحت قيادة حاكم عسكري . ولقد وجدت في الحصن أدوات حرب عديدة مثل مقاليع وأقواس وسهام ودرع يسمى " السيريون " وكانت الجياد محصنة بدروع محرشفة والعربات تتألق بفعل تصفيحها بالذهب . وذكر في إحدى الكتابات أن الملك طلب دفعة واحدة ألفي جواد مما يدل على أهمية الجياد في الجيش الأوغاريتي .

التشريع الأوغاريتي :

لم تظهر حتى الآن نصوص حقوقية بالمعنى الصحيح على غرار ما جاء في بلاد ما بين النهرين مثل قانون "لبث عشتار" وقانون "اشنونا" وقانون "حمورابي" إلا أن ما تم الكشف عنه من قوانين " أوغاريت " يصور التقاليد الحقوقية فقط. إن النصوص الحقوقية لآوغاريت دُوت باللغة الأكادية وليس الآوغاريتية وكان ذلك في الألف الثاني ق.م . وهي اللغة الدبلوماسية والحقوقية في الشرق الأدنى.

وأما النصوص الآوغاريتية المكتشفة فيمكن تصنيفها كما يلي :

- الصكوك والعقود الجارية أمام شهود
- الصكوك التجارية أمام الملك
- صكوك الملك نفسه وهي بمثابة مراسيم

وأما الصكوك والعقود الجارية فتشمل :

- الوصية
- عقد المبيع
- عتق عبد
- التبني
- المبيع
- تسوية إرث
- الصك الملكي

وقد وجدت نصوص هذه الصكوك كاملة لكل عقد .

الحياة الاقتصادية :

سبق وذكرنا أن أهمية أوغاريت التجارية كانت كبيرة جداً في مصر أو بحر ايجي أو الشرق الأوسط لدى الحثيين وغيرهم فقامت فيها عدة صناعات منها :

- نقابة مندوبي الفضة
- صناعة الأسلحة
- الأواني البرونزية
- الأسلحة
- نقابة الصناعات المعدنية
- نقابة صانعي العربات
- صناعة البرفير والفخار
- صناعة الزيت والنبذ

الفنون

إن الفن السوري كما ظهر في أوغاريت في الألف الثاني ق.م . تأثر بالفن المصري وبفن العالم الإيجي دون أن يتكرر لأصله الآسيوي .

ومن الصعب تعداد جميع القطع الفنية التي عثر عليها ولذلك نكتفي بذكر بعضها :

- صحن ذهبي ويدل على تألف بين الفن السوري والإيجي
- تمتاز الباز مستوحى من الفن المصري وهو مصنوع من البرونز المطعم بالذهب
- ومن القطع المستوحات من الفن الإيجي :
- أواني الشرب بشكل قرن أو رأس حيوان

- القناعات النسائية على الكؤوس الخزفية الملونة
- إلهة الخصب الجميلة المنقوشة على غطاء حلى عاجية
- لوحة عاجية كبيرة تعود إلى الشرق الأدنى أو مصر يبلغ عرضها متراً واحداً وعلوها نصف المتر .
- ويدل الفن الأوغاريتي على أصالة مميزة فبالرغم من التأثيرات المصرية والبابلية والايجية حافظ فنناو أوغاريت على مهارتهم الخاصة

الدين :

في الألف الثاني قبل الميلاد كان دين الفينيقيين واحداً من جنوب فلسطين حتى شمال سوريا بما فيها أوغاريت .

إن آلهة أوغاريت كانت كما يلي :

- الإله " ايل " سيد الآلهة وخالق الخليقة ذو الحكمة الكلية وزعيم الآلهة إنه زعيم السلام والمحبة ولذلك قال الغربيون أن الكنعانيين دقوا أبواب التوحيد .
 - " بعل " هو إله العواطف والأمطار وبنوع خاص إله الخصب وإله الحرب أيضاً
 - " اليان بعل " إله الينابيع
 - " موت " إله الحصاد
 - " داغون أو داجون " مخترع الحنطة والمحراث
 - " اشيره " شريكة " ايل وبعل "
 - " عنات " أخت بعل الآلهة العذراء المحاربة وإلهة الخصب
 - " عشتروت " إلهة الحب والخصب وهي عند اليونانيين " الزهرة "
- هذا ولم تتنكر أوغاريت إلى بعض الآلهة الغربية

الآداب : إن القصائد التي عثر عليها تدل على مواهب شعراء أوغاريت الأدبية فضلاً عن الكشف عن ديانة الفينيقيين .

وأما الأعمال الأدبية التي تم الكشف عنها فنلخصها كما يلي :

١. أسطورة " كيريت "

٢. اسطورة الملك " دانيال "
٣. اسطورة " بعل " الكبرى
٤. اسطورة " بعل وأمير البحر "
٥. ولادة الآلهة الظرفيين والجميلين
٦. نشيد الآلهة " نيكال " والآلهات كوزاروت
٧. منتخبات شعرية

هذا ومن الواضح أن فصل الآداب هذا يتطلب دراسة مطولة لاتتفق مع مضمون هذا الكتاب .

أبجدية أوغاريت :

والآن نصل إلى أعظم ما أنتجته أوغاريت ألا وهو الأبجدية ذات الثلاثين حرفاً فقط لبث جميع حاجات الكتاب، وقد تبنى العالم أجمع هذه الكتابة حتى اليوم واعتبر علماء الغرب هذه الأبجدية أنها "خلق مفاجئ" أعطى البشرية أعظم ما يمكن في حقل الكتابة والتدوين، ويقال أن علماء أوربا عيدوا يوماً كاملاً احتراماً إلى ابن أوغاريت السوري الذي اخترع الأبجدية. وعندما تم الكشف عن قراءة هذه الأبجدية ساعد ذلك على قراءة العديد من الكتابات الأوغاريتية ومنها :

الملاحم والكتابات المتعلقة بالحسابات والكتابات المدرسية، ولوائح بأسماء أعلام ولوحات تاريخية تسلسلية وأبحاث علمية وكتابات تتعلق بممارسة الطقوس الدينية ونصوص هجائية ونصوص رسمية ومحفوظات دبلوماسية ومستندات تجارية ونصوص تتعلق بالتنظيم العسكري، لوائح بأسماء المدن والقرى والأشهر التي لم تكن معروفة في بلاد ما بين النهرين وهي: مجرم، بجرم، رزين، نفل، هلت، جن اسب وهيار وتسريت وهما اليوم أيار وتشرين.



الحاضرة الثانية الكبرى " إيبلا " :

كانت البادية السورية الممتدة من الفرات إلى حدود بلاد الشام الشرقية تشكل هاجساً لدى علماء الآثار لاعتقادهم بأن هذه البادية تصحرت إلى حد ما عبر الزمن ولا بد أنها كانت عامرة في يوم من الأيام. ولقد سئل ذات يوم البروفيسور " كلود شيفر " مكتشف مدينة "أوغاريت" أين يتمنى أن يقضي آخر أيامه فأجاب " أتمنى أن يكون ذلك في البادية السورية أو ما نسميه حتى الآن : " بالصفحات البيضاء " ويعني بذلك أن البادية خالية من أي أثر تاريخي حتى الآن .

إن أمنية " كلود شيفر " قد تحقق قسم منها المتعلق بالصفحات البيضاء إذ تبين أنها فعلاً ليست بيضاء وذلك باكتشاف مدينة " إيبلا " التي غيرت وجه التاريخ أما " كلود شيفر " فلم تساعده الحياة على العمل في هذه البادية إذ كان ذلك من حظ العالم " باولو ماتيه " الإيطالي.

عمليات التنقيب في موقع " إيبلا "

تقع " إيبلا " قريباً من بلدة "سراقب " تبعد ستين كيلو متراً عن حلب، فوق تل يدعى محلياً " تل مردوخ ". بدأت عمليات التنقيب في " تل مردوخ " منذ عام ١٩٦٤ . وحققت مايلي :

بين ١٩٦٤-١٩٦٨ تمّ الكشف عن البوابة الجنوبية الغربية لسور المدينة إنها بوابة ضخمة يبلغ طولها ٤٥ متراً مبنية من الحجر .

كما تم الكشف عن عدد من المساكن والمعابد والقصر الملكي.

وفي عام ١٩٦٨ تم الكشف عن حوضين مزينين بمنحوتات طقسية يرجع عهدهما إلى حوالي ١٤٥٥-١٨٥٥ قبل الميلاد.

اللقى الأولى :

في عام ١٩٦٨ تم العثور على تمثال رجل بين أنقاض المدينة المرتفعة، كما وجد على كتف التمثال كتابات بالأحرف المسمارية واللغة الأكادية تفسيراها: " يقدم نذراً (أب- بيت- ليم) ابن (أج- ريش) أو "جرش" تمثاله إلى معبد " عشتار " .

إن هذه الكتابة دلت باليقين على موقع "تل مردوخ" فهو موقع "إيبلا" المعروف اسمها في عهد سرجون الأكادي وحفيده "نارام سين" الذي دمر مدينة "إيبلا" حوالي عام ٢٢٥٠ ق.م. ويفتخر "نارام سين" بأنه فتح مدينة "إيبلا" ومدينة "ارمان" ، اللتين لم يسبق أن فتحهما إنسان منذ الخليقة "

إذن هذه هي مدينة "إيبلا" التي غابت عن الوجود حتى اليوم شأن مدينة "أكاد" التي لاتزال مجهولة الموقع حتى الآن .

وتستمر أعمال التنقيب في تل "مردوخ" حتى عام ١٩٧٣ كما يستمر العثور على اللقى التي تعود إليها حتى حوالي عام ١٨٥٠ ق.م.

مراحل إيبلا التاريخية :

بنتيجة الحفريات تبين أن " إيبلا " مرت بمرحلتين :

الأولى من ٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ والثانية من ٢٠٠٠ إلى ١٨٢٠ ق.م انتهت المرحلة الأولى على يد " نارام سين" وأما الثانية فقد انتهت في عهد "حمورابي".

الآثار المكتشفة :

القصر الملكي : بين عامي ١٩٧٥ و١٩٧٤ عثر على معالم معمارية ضخمة ومحفوظة جيداً في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة المرتفعة وبنتيجة فحص الكسر الفخارية تبين أنه يرجع تاريخها إلى الألف الثالث ق.م وهي الفترة المعاصرة للأسرة الأكادية .

ومن قراءة الرقم تبين أن القصر الملكي أصابه الدمار والحريق وذلك حوالي عام ٢٢٥٠ ق.م.

الكنوز التي كشف عنها من القصر الملكي :

كشفت أعمال التنقيب عن هدم القصر الملكي عام ٢٢٢٠ كما سبق وذكرنا وهو مؤلف من باحة سماوية محاطة بأروقة ولعلها قاعة استقبال، ويحيط بالقصر جدار بخمسة عشر متراً له ثلاثة مداخل أحدها يؤدي إلى مصطبة شرف يجلس فيها الملك.

- وفي إحدى غرف القصر عثر على آلاف الرقم الطينية وقد وجدت في خمسة محلات:
١. المكتبة وعدد الرقم فيها حوالي ١٥٠٠٠ رقيم وكسرة. ذات موضوعات تجارية واقتصادية وإدارية وتاريخية ومعجمية وأدبية.
 ٢. المخزن وقد عثر على ألف رقيم تتضمن موضوعاتها أموراً إدارية تتعلق بتوزيع المؤن على الرسل والممثلين.
 ٣. غرفة وفيها ٥٠٠ رقيم ذات موضوعات اقتصادية وتاريخية
 ٤. حجرة في المنطقة الجنوبية من القصر وفيها ٤٠٠ رقيم اقتصادي وتعلق بصورة خاصة بالزراعة وتربية المواشي.
 ٥. الحجرة رقم ٢ في المنطقة الشمالية من القصر الملكي وفيها ٤٠ رقيماً بموضوعات اقتصادية.
- وأما الحريق الذي داهم القصر فقد سبب تخفيف حدة الرقم وجعلها صلبة كالقرميد وكان ذلك سبب حفظها سالمة.

وإليك بعض أوصاف الرقم المكتشفة :

- ١- أصبحت اللوحات الفخارية بفعل الحريق صلبة كالقرميد.
- ٢- بلغ عدد الألواح واجزائها ١٥٠٠٠ وبحالة سليمة.
- ٣- أحجام الرقم مختلفة يصل طول الكبير منها إلى ٤٠ سنتمراً.
- ٤- كانت الألواح منسقة على مكاتب خشبية يبلغ عمقها ٨٠ سم. وارتفاعها ٥٠ سم
- ٥- كتبت الألواح بالكتابة المسمارية التي أوجدها السومريون والتي تطورت وانتشرت في سوريا وكانت أوغاريت أول من نظم هذه الكتابة على أساس الحروف الهجائية ولبس على أساس صورة الكلمة.
- ٦- وأما اللغة فتمثل أقدم لغة عربية معروفة وتعتبر بوجه عام إحدى ثلاث لهجات كانت معاصرة : الأكادية في الرافدين والابلائية في سوريا الداخلية والكنعانية

في الساحل السوري التي تتضمن اللهجة الأوغاريتية والفينيقية وبالإضافة إلى هذه المصطلحات كانت السومرية.

وكانت هذه اللغة الأخيرة أي السومرية هي لغة المنطقة الدبلوماسية وتتميز بمايلي:

١- أنها أقدم لغة عربية معروفة ومكتوبة بالمسمارية حتى الآن باستثناء اللغة الأكادية الشرقية.

٢- إنها لهجة من اللهجات القديمة وتتضمن نفس القواعد إنما خالية من الأفعال الزمنية الماضي والحاضر والمستقبل.

٣- إن كلماتها غير واردة في المعجم الأكادي.

٤- تعتبر كل اللهجات المنتشرة في الشمال الغربي في سوريا هي لهجات عمورية ذات مسحة إيبلائية.

٥- إن اللهجة الإيبلائية مزيج من اللهجات البدوية والحضرية في المنطقة

وأما مواضيع هذه الكتابات فمختلفة وهي من :

- أوامر ملكية وتقارير موظفين حول أوضاع الدولة
- معاهدات وأحلاف دولية ومواثيق
- ألواح تعليمية
- نصوص تجارية
- نصوص أدبية
- نصوص تاريخية تعود إلى ما قبل عام ٢٢٥٠ من مصرية ورافدية.
- نصوص جغرافية تتضمن مئات المدن التي مازال بعضها قائماً حتى الآن مع أسماء سلالة الملوك المتعاقبة على إيبلا.
- معلومات عن الديانة المتعددة الآلهة
- معلومات عن الحياة الاجتماعية والعادات. منها أن أحد الملوك كان له ٣٨ ولداً وأن اغتصاب العذراء هو الموت وأن المرأة خلقت من الضلع السادس للرجل وتمثل بالحية والطرود من الجنة هذا وإن الأفكار الرئيسية لقصص الخلق كانت أساساً للروايات التوراتية وأما الكاهن فيمارس السلطة القضائية المطلقة ويصدر الأحكام .

أهمية ألواح إيبلا المكتشفة :

- ١- إنها تتضمن معجم لفظي بين لغتين الآشورية والسومرية يرجع تاريخ المعجم إلى عام ٢٣٠٠ ق.م . وقد ساعد هذا المعجم على تفسير الكثير من الألفاظ السومرية التي لم تكن معروفة قبل اكتشاف " إيبلا "
- ٢- تعتبر "إيبلا" أول من طور نظام الكتابة المسمارية
- ٣- دلت الرقم على أقدم تحالف وقع بين " إيبلا " و "آشور"
- ٤- إن لغة إيبلا تمثل أقدم لهجة عربية سومرية وهي لهجة عمورية
- ٥- وهي تعتبر أقدم تعديل طرأ على الكتابة السومرية
- ٦- أضخم كنز أثري تاريخي عثر عليه في مكتبة واحدة حتى الآن.

معلومات تاريخية :

تبين أن مدينة " إيبلا " استمرت قائمة بالرغم من الأحداث القاسية حتى عام ٢٢٥٠ ق.م وذلك منذ عام ٢٤٠٠ ق.م كمايلي:

من ٢٤٠٠-٢٢٥٠ كانت مركزاً عظيماً يحتل المركز الثالث بعد مصر والرافدين ومن ٢٠٠٠-١٨٠٠ كانت مركزاً حضارياً هاماً في شمالي سوريا. حيث بلغت "إيبلا" السياسية أوجها فسيطرت على المنطقة، وكانت أوسع نفوذاً من مملكة حلب خلال حكم "شماش" حدد الأول وفي بابل أيام حمورابي

تعاقب الملوك على إيبلا

- ١- الملك " أغر يش- حلم " ٢٥٠٠ وهو الذي أنشأ القصر عام ٢٤٠٠
- ٢- الملك " أركب-دامو" ووصل نفوذه حتى إيران
- ٣- الملك " آرساينوم ٢٣٤٠ : في عهده أصبحت: ماري: تابعة "لإيبلا"
- ٤- الملك " أبيروم معاصر للملك الأكادي "سرجون"
- ٥- الملك " أبي سبيش" عادت في عهده إيبلا للظهور كدولة قوية.
- ٦- الملك "أبن زيكو" وهو معاصر لحمورابي ١٨٥٠ ق.م

معلومات جغرافية عن مدن سورية مازالت موجودة :

- لقد عثر في كتابات إيبلا على معلومات حول مدن هامة بعضها انقرض مثل ثمود وعاد وارم وبعضها مازال قائماً مثل
- دمشق واسمها القديم " ديماشكي "
 - حمص واسمها القديم " ايمسا "
 - حماه واسمها القديم " ايماء "
 - المشرفة واسمها القديم قطنا
 - رأس شمرة واسمها القديم "أوغريت كما ورد الاسم
 - تل حريري واسمها القديم ماري
 - كركميش وتل عطشانه واسمها القديم " الألاخ " وقد أصبح اسمها في العهد السلوقي " أنطاكية "
 - جبيل وتل البيعة واسمها القديم " توتول " وهناك مايقارب ١٢٠٠٠ اسم مدينة لم نعرف حتى الآن .

معلومات عامة وتاريخية عن إيبلا :

يقول الأستاذ "ماتيه" رئيس البعثة الإيطالية: "لقد حققت إيبلا وثائق ذات ثروة كبيرة أضيفت إلى معارفنا عن الشرق الأدنى، في الألف الثالث قبل الميلاد وقد شهدت هذه الفترة بناء الأهرامات في مصر أو ما يسمى بعصر الملوك وشهدت الحضارة السومرية والأكدية في الرافدين "

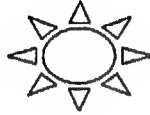
بلغت سيطرة إيبلا حداً واسعاً بحيث أصبحت مركزاً لإمبراطورية شاسعة الأطراف. فكانت حلب تابعة ويعين حاكمها ملك " إيبلا " على أن يكون من مواطني "إيبلا.. كما أن جبيل على الساحل السوري يدير شؤونها حاكم من أبناء البلاد يعينه ملك "إيبلا".

كما كانت "لإيبلا سيطرة على آشور كما يتضح ذلك من نصوص المعاهدة التي عثر عليها والتي ذكرت أن "إيبلا" حققت انتصارين على دولة "ماري" للسيطرة على الطرق التجارية والمائية وعلى " أكاد" في سبيل احتكار تجارة المعادن المستخرجة من الأنضول وتجارة الخشب ومصدره فينيقيا. كما أخضعت أكاد لدفع الجزية إلى ملوك " إيبلا ".

وأما إدارة الحكم في إيبلا فكانت بيد مجموعة ملوك والملكات كما كان ولي العهد يدير القضايا الداخلية. بينما يدير الأمير الثاني السياسة الخارجية. وأما الملوك فيتخذون لهم زوجات عدة وقد رزق أحد الملوك ثمانية وثلاثين ولداً

العبادات :

نفس عبادات بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية مما يدل على وحدة الحضارة السورية.



حاضرة ماري

ننتقل الآن إلى الحاضرة المميزة "ماري" إنها واقفة على تل "حريري" قرب مدينة "أبو كمال". ولقد كشف عن أثارها العالم أندره باري واشتهرت بقصرها العظيم وإليك بمواصفاته.

القصر الملكي : يعتبر قصر "ماري" إحدى عجائب العالم إذا ما قيس بالزمن السحيق في القدم. تبلغ مساحة القصر ٢٥٠٠م^٢ مؤلف من قطعة واحدة. فهو كما يقول علماء التنقيب مدينة في قلب مدينة.

يضم القصر ٣٠٠ غرفة وباحة واسعة كما توجد فيه قاعة للجلسات يستقبل فيها الملك المراجعين، فكانت اتصالاته بالمواطنين متواصلة ومباشرة

إن وسائل الراحة والنظافة التي وجدت في القصر تؤيد ما قاله الأستاذ "جورج دوسان" في إحدى محاضراته في مدينة "ليبج" (بلجيكا)

حيث قال : " كان السوريون منذ ٤٠٠٠ سنة يأخذون حماماتهم في المغاطس التي لم تعرفها قصورنا" قبل قصر فرساي" حتى القرن السابع عشر ميلادي

المدارس : تم الكشف عن وجود مدرستين يقول فيها العالم " أندره بارو" مكتشف "ماري" مايلي: لا غرابة أن يخصص ملوك " ماري" في القصر الذي وجد فيه هذا العدد الضخم من اللوحات المكتوبة مكاناً لأعداد أولئك الذين سيتولون مهمة القراءة والكتابة " فمدرسة" ماري" إذن كانت على حدود زمن مدرسة " سومر" التي تعتبر أول مدرسة في العالم.

مهارة أهل "ماري" ودقتهم :

تم الكشف عن أبنية داخل القصر من أجل تصريف المياه، في مختلف أقسامه. وأكبر دليل على ذلك ما جاء على لسان العالم " أندره بارو" في إحدى مראياته وملخصها كمايلي: " أن عاصفة شديدة اجتاحت مدينة "ماري" بينما كان العمال يقومون بالحفر والتنقيب. فاضطر هؤلاء العمال إلى اللجوء إلى مكان ما في قرية "أبو كمال" ولقد خشيت البعثة أن تجرف مياه الأمطار الغزيرة مواقع الحفر فتضيع معالم ما أنجزه العمال قبل العاصفة. ولكن دهشة عمال الحفر كانت عظيمة إذ رأوا أن المياه التي هطلت بغزارة لم تغير في شيء من أثار الحفر لأن هذه المياه تسربت في أبنية من داخل غرف القصر

مصنوعة خصيصاً لهذه الغاية. إن أفضلية تصريف المياه بقيت صالحة للقيام بوظيفتها لغاية الكشف عنها أي بعد أربعة آلاف عام.

سجلات ماري :

بلغ عدد سجلات "ماري" الملكية ٢٥٠٠٠ لوح مختصة في كل ناحية من نواحي القصر وموضوعة في خزائن جدارية. وتشمل هذه السجلات الوثائق الاقتصادية والادارية والسياسية، ولقد تم تكليف الأستاذ "جورج دوسان" بترجمة هذه الرقم فأنجر حتى عام ١٩٦٧ أربعة عشر مجلداً. ولقد علق الأستاذ "أندره بارو" على ذلك بقوله: "كان ذلك بداية لمشروع لا يزال بعيداً عن الإنجاز وسنرتكب خطأ كبيراً إن لم نذهب حتى النهاية في الكشف عن هذا المنجم واستغلاله وبذلك سوف يتجدد تاريخ وجغرافية الشرق الأدنى بكامله؟

السجلات السياسية :

تبين في السجلات السياسية أنه كان لمملكة "ماري" سفراء لدى كل دول المنطقة ومنهم سفير "بابل" و"كركميش" و"حلب" وسفير لدى "حمورابي" وغيرهم كثيرون وقد عرفت أسماؤهم من السجلات الملكية. وفيما يتعلق بقيمة هذه السجلات ودقتها علق على ذلك العالم "ثورو دانجان" على أحدها بقوله "إن هذه الرسالة تُعد من أدق الرسائل الدبلوماسية في الألف الثاني ق.م لو غيرنا فيها الأسماء فقط لأمكننا القول أنها رسالة مبعوثة من قبل إحدى سفاراتنا في الخارج في القرن العشرين".

وتدل هذه السجلات على أن مسؤولية الملك كبيرة فكان يتدخل في كل ما يحدث في مملكته. وعلى سبيل المثال كان الملك "زمرى ليم" يهتم في تفاصيل كل أمر. وكانت المحكمة الملكية تعقد في القصر الملكي والضريبة التي يجمعها الجباة تسلم بحضور الملك. وكان يتلقى الملك طلبات بدون انقطاع مثل إصلاح جدار مهدم أو إرسال طبيب لعلاج حالة التهاب أذن على بعد مائة كيلو متر من ماري أو الأمر بتعزيز قناة مسدودة أو ترقيم تصدع جدار أو مكافحة موجة حر. إلى آخر ما هنالك من مهمات كشفت عنها السجلات الملكية مما يدل على اهتمام الملك شخصياً بأمر رعيته.

دور المرأة :

أما دور المرأة فكان هاماً في بلاط ماري إذ كانت الملكة "شيببتو" بنت ملك حلب تحتل مركز الصدارة فكان الملك "زمرلي-ليم" يعتبرها وكيلة عنه بكل ما في الكلمة من معنى. فكانت تستعمل ختمها الأسطواني وهو يحمل الكتابة التالية: "شيببتو" بنت "ياريم-ليم" زوجة "زمرلي-ليم" وتضعه على بعض الأبواب والرسائل والمستودعات فهي كما يقول العالم "أندره بارو" مكتشف مدينة ماري " أنها تتمتع بسلطة الأمراء كما أنها في نفس الوقت تقوم بمركز "سيدة بيت" وتشغل بكل جدارة أمور العرش في غياب زوجها.

العبادات :

إن عبادات ماري هي نفس عبادات منطقة بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية. لمحة خاصة : وقد تبين أن مدينة "ماري" كانت تسمى "ماركي" ومعناها باللغة الأكادية "أرض الزوابع" لأن لفظة : كي " بالأكادية أرض " ومار " اله الزوابع. ويوجد موقع بالقرب من "ماري" تحت اسم: سودا. ومن المصادفات الغريبة أنه يوجد نهر على الساحل السوري يقع في منتصف الطريق المؤدية من مدينة طرطوس إلى مدينة "بانياس" يدعى "نهر مرقية" وذلك نسبة إلى موقع أثري قديم في قرية الخراب على الساحل الواقعة بين " نهر مرقية" وبانياس. ويستنتج أن اسم النهر نسبة إلى موقع "مرقية" الممكن ارجاع اسم هذا الموقع إلى ماري.

ومن غرائب الأمور أنه توجد تربة بين مرقية وطرطوس تدعى "السودا" وهو نفس الاسم الوارد على الخريطة قرب ماري. كما توجد قرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من السودا اسمها زميرين أي "زمرلي-ليم" ؟ من يدري؟

ومن المعلوم تاريخياً أنه كانت لمدينة ماري قوافل تجارية خط منها يعبر سوريا الداخلية وخط آخر الشاطئ السوري.

فهل يا ترى خط قوافل الشاطئ السوري كان يتمركز في سيره في محلة "مارقية" وقد نسب النهر إلى اسمها؟ وزيادة في الوصف أن موقع " الخراب " الحالي مشهور بالعواصف الهوجاء التي تحتاج من حين إلى آخر الشاطئ. فهل لذلك علاقة باسم "ماري" القديم أي "ماركي" أرض الزوابع.

إن مصلحة الآثار وحدها قد تكشف عن تاريخ هذه المواقع بالإضافة إلى ما كتبنا حتى الآن عن الحضارات السورية الكبرى فإن كتاباتنا هذه لا تدل إلا على النزر القليل من حضارتنا التي تسربت من بين أيدينا، ونسب القسم الكبير منها إلى الغير مثل اليونان والرومان. وفي هذا الموضوع كتب الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية واليوم في الولايات المتحدة الأميركية مايلي: "مرت على سوريا عصور اضطرب أبنائها أن يكتبوا بغير لغتهم حتى إن أسماءهم أصبحت يونانية ورومانية. فلم تمنعهم صعوبة اللغة الجديدة من القيام بواجبهم، بل بالعكس وضعوا فيها أمهات المؤلفات على نحو ما في العصرين اليوناني والروماني فدخلت آثارهم في تراث الأمم الأخرى واحتوتها الكتب على أساس أنها جزء من تاريخ الفكر اليوناني والروماني، ولم يبقَ منها ما يذكرنا بأنها سورية سوى أصل أصحابها وانتسابهم إلى سوريا". إننا في هذا الملف سوف نأتي على أهم التراثين السوريين من ملوك وقواد ورواد فكر إحياء لذكرى أمجادنا وأمجاد من سبقونا على درب الحضارة الإنسانية الكبرى.

الفن العموري :

نعتمد حتى الآن لفظة "عموري" للدلالة إتياناً على الشعب الذي سكن العراق ومنه الملك "حمورابي" أكبر مشرع عرفه التاريخ القديم. إن حقيقة أصل العموريين أو الأموريين هوانهم كنعانيون سكنوا غربي العراق في الشريط الداخلي في بلاد الشام أطلق عليهم اسم عموريين أو "أموريين" أي سكان الغرب ويعنون بذلك غربي العراق فاللفظه أذن هي مصطلح جغرافي وليس سلالي. ولقد تنبه العراقيون إلى هذا الالتباس فبدأوا يسمونهم "الأموريين" الكنعانيين الشرقيين فاقتضى في هذا الفصل من الدراسة تصحيح ما يلزم. فهم إذاً إحدى موجات : الجزيرة العربية التي نزحت إلى سوريا الطبيعية مع الأكاديين وانتشرت فيها سواء في بلاد الشام أو بلاد ما بين النهرين في الزمن اللاحق. أما مدينتهم الشهيرة في سوريا الطبيعية فهي مدينة "ماري" التي مرت معنا في هذه الدراسة.

أما الإطار العام الذي نشأت فيه حضارة العموريين أو "الكنعانيين الشرقيين" فيتميز بالعوامل الطبيعية التي أثرت في الفن الأموري وتطوره كما يلي:

١- إن الإقليم بفروقه الحرارية ومجاورته إلى الصحراء ونوع تربته الطينية مع ندرة الحجر، جعلت الفن يتجه اتجاهاً قاسياً ويتخذ من مادة الطين والرسوم الجدارية الملونة، فمادتها الأساسية الطين، كما أن فن الكتابة اعتمد اللوحات الطينية في تسجيل كتاباتهم عليها على غرار كل كتابات سوريا الطبيعية.

٢- كما أن للدين تأثيره فالحياة الإنسانية بأشكالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في ذلك العصر، كان محورها الدين من حيث تعدد الآلهة وتمجيدها وبناء المعابد ومنها الزيقورات وتقديم النذور والذبائح وإقامة الاحتفالات الرسمية من قبل الملوك.

٣- والفن العموري لم يكن فناً جامداً بل كان سمحاً عالمياً بالنسبة لعصره فكان بالنسبة لجواره فن أخذ وعطاء مستمرين.

٤- والفن العموري واقعي محافظ على التقاليد والدين، في تمثيل الأشخاص المرأة والرجل وتمثيل الآلهة بأشخاص وفي تمثيل الحياة الزراعية بأشجارها وأرضها وحيواناتها .

في صناعة الطين

بقي الفخار حتى ظهور الكتابة المصدر الوحيد لإمدادنا بالمعلومات التاريخية الحضارية بكل الشرق القديم. والطين وهو المادة الأولية التي يمكن للإنسان أن يحصل عليها تتناسب وصحة استعمالها كبداية للفن بالإضافة إلى الرمل والكلس الناعم والقش. وكان كل شيء في البدء يصنع باليد ثم حصل تقدم جديد وهو "الدوران" حيث توضع كتلة الصلصال فوق حاملة يمكن أن تدور ببطء بواسطة اليد. وأما الدولاب فلم يظهر إلا بعد زمن طويل. وكان لاختراعه شأن عظيم في تطور صناعة الفخار ولا يزال هذا الكشف العظيم في خدمة الإنسان حتى يومنا هذا.

وقد عثر العلماء في بلاد ما بين النهرين وبالتحديد في بلاد "آشور" على وصفه تبين أنها وصفت في عملية طلاء الفخار بالخزف ولدى تجربة هذه الوصفة اتضح أنها بالفعل خزف لطلاء الفخار وكان ذلك في الألفين قبل الميلاد ومن هناك دخل الخزف في صناعة الفخار وتعمم.

وأعطتنا مدينة "ماري" مجموعات عديدة من القطع الفخارية متنوعة الأشكال مثل الجرار والصحون والطاسات والقدر والكؤوس وما يماثلها كانت كلها بمتناول أيدي أبناء الشعب. وأما القطع الفخارية المزخرفة والمزينة فكانت مخصصة للملوك ورجال الدولة والدين.

وابن ماري هو أول من استخدم المينا لتغطيه اللون الفخاري، وهذا ما عرف فيما بعد في العصر الإسلامي بالصيني في حضارة الصين.

ولابد من الإشارة إلى أنه وجدت في حفريات "ماري" بعض القطع من الأواني البرونزية وهي قليلة جداً كتب على إحداها اسم المالك فكانت تخص ابنة "نارام سين" حفيد الملك "سرجون الأكادي" وهذا دليل على العلاقات الطيبة بين "ماري" والشعب "الأكادي".

فن التماائم :

وما دمنّا بصدد حضارة الطين فعلينا أن نذكر فن صناعة التماائم الذي بلغ في مدينة "ماري" شأواً كبيراً، وكانت صناعة التماائم مقتصرة على العمل اليدوي غير أن ذلك قد انقلب إلى الاعتماد على القوالب، وذلك منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس أصبحت التماائم بمتناول أيدي الشعب لكثرتها وسهولة صنعها.

وتخفيف التماائم كان يحصل عن طريق تحفيف الطين في الشمس ومن ثم كانت التماائم تشوى على النار. ومن أهم مواضيع التماائم هو الإنسان من رجل وامرأة. وتماائم للإلهة الأم والرجل العاري وكل أنواع الحيوانات والى جانب ذلك مشاهد دينية وميتولوجية كما وجد في ماري مجسم بيت صنع من الطين غير المشوي يحوي على ثمانى غرف متقابلة حول باحة مربعة.

فن الهندسة المعمارية :

قال أحد المهندسين الذين عنوا بمكتشفات "ماري" مايلى: إن قصر "ماري" أصبح منذ اليوم الذي تمّ الكشف عنه وعرف مخططه عملاً فريداً من أجل إمدادنا بالمعلومات الهندسية الإنشائية لكل منطقة الفرات ما بين النهرين. فالقصر الملكي في ماري لم يكن بالقصر الصغير وإنما كان بمثابة قلعة دفاعية وأشبه ما يكون بمدينة صغيرة لاحتواء

السكان عند مواجهة الأخطار والمدهش في فن بناء القصر هي الهندسة الشرقية لغاية الألف الثاني قبل الميلاد. وقد كشف الحفاريون عن قسم من القصر يحتوي على ٣٠٠ غرفة وممر وباحة.

ولقد كشف عن بعض الجدران فقد بلغ ارتفاعها خمسة أمتار. والجدير بالذكر اتساع الغرف والباحات لاستقبال مختلف طبقات الشعب وبلغت هندسة بناء هذا القصر أبعاداً واسعة كانت حديث الناس والملوك. ومن المؤكد أن ملك أوغاريت "نقمند" أرسل ابنه للوقوف على هندسة قصر ماري وتقليدها وكان برفقته مهندسون من حلب. وما يقال من هندسة قصر الملك في مدينة "ماري" يشمل أيضاً الفن الإنشائي للمعابد وكلها أصبحت أمثله يقتدى بها.

فن الرسم على الجدران :

لقد أعطتنا مدينة "ماري" خلال الحفائر المتعاقبة على أرضها مدة ثلاثين سنة مجموعات من الألواح الجدارية المرسومة ومعظمها وجد في القصر الملكي. وقد دلت هذه الألواح على أنها من الناحية الفنية أرقى من الفن الذي عرفت به مدينة "اور" و"اشموناك" و"الالاخ" و"برسيب" و"دورا اوروبس" وقد تبين لعلماء الآثار أن كل هذه المواقع اشتق منها من الفن العموري.

وقد تبين للعلماء أن الفن العموري كان بعيداً عن التأثير بالفن المصري، وذلك لبعد الشقة بينهما، وأما بلاد ما بين النهرين فكان لها تأثيرها على الفن العموري.

فن النحت على الصدف والعاج :

خلف لنا الفن العموري أثراً صدفية وعاجية رائعة فكانوا يأتون بالصدف من شواطئ الخليج العربي وضاف نهر دجلة والفرات، وكانوا يتفننون في صفه وتركيبه إلى أبعد حد وصناعة الصدف هذه لم تكن وفقاً على سكان "ماري" بل كانت أيضاً من منتجات مدينة "اور" في المنطقة الواقعة في أسفل "ما بين النهرين" وفي مدن أخرى.

وقد وجدت أيضاً بعض أنواع الآلات الموسيقية معمولة من العاج والصدف، وجد منها أيضاً الكثير في مدينة "لاكش" و"كيش" و"الوركاء" وورثت ماري عن بلاد ما بين النهرين استعمال العاج وذلك منذ النصف الأول من الألف الثالث، كما دلت على ذلك لقي

مدينتي "أور" و"لاكش" واستمرت صناعة العاج في حركتها الفنية في العصر "الاشوري" منتقلة إلى "أوغاريت" على الساحل السوري.

فن الأختام والنحت على الحجر :

يعود استعمال الأختام إلى عهد بعيد جداً في التاريخ الحضاري الإنساني فالختم المسطح وجد منذ الألف الخامس وبدء الألف الرابع، ثم تطور شكله إلى شكل أسطواني في الألف الرابع.

إن مادة الختم المسطح هي الحجر وبأشكال مختلفة : بيضوي، مضلع منتظم ومختلف الأضلاع والدائري. ويحفر على سطح منه رموز وصور.

والشكل الأسطواني شبيه بالأسطوانة ومن مختلف الألوان وأنواع الحجارة. وأما نحت التماثيل فقد وُصف بالفن التكعبي البعيد عن الواقعي ما عدا منحوتات مدينة ماري فإنها كانت في الاتجاه الواقعي.

والفنانون في "ماري" كانوا يقيمون بالقرب من المعابد كمحلات صالحة للعرض وذلك رغبة منهم في رواج إنتاجهم. إن أشهر تماثيل في ماري هو تمثال "إلهة البنيوع" الموجودة في متحف حلب ويمثل امرأة واقفة ترتدي ثوباً طويلاً لا يظهر منه سوى مقدمة القدمين. والثوب متموج يشير إلى تموجات المياه .

التراثيون الأوائل : ملوك وقواد ورواد فكر :

أولاً : ملوك : بدا ظهور الملوك في بلاد ما بين النهرين منذ الألف الرابع، أي بعد حادثة الطوفان، وكان ذلك في مدينة "كيش" أول مدينة تجمّع فيها الناجون من الطوفان واستوطنوها ولفظة "كيش" أكادية معناها التجمّع. كما عثر المنقبون على تاريخ ملوك قبل الطوفان، وهذا ما أطلق عليه المؤرخون اسم "ثبت الملوك قبل الطوفان" أو الملوك الأسطوريون في بلاد "سومر" وإليك لائحة بأسماء هؤلاء الملوك مع سنين حكمهم بارقام خيالية إذا ما قيسست بحسابات الزمن الحالي:

رقم	الاسم	المدينة	سنين حكمهم
١	ألو ليم	أريد	٢٨٠٠٠
٢	الالمار	أريدو	٣٦٠٠٠
٣	امتلوآنا	بيت كركار	٤٣٠٠٠
٤	كيشوتا	لارسا	٤٣٠٠٠
٥	انتمغلانا	بيت كركار	٢٨٠٠٠
٦	دموزي	بيت كركار	٣٦٠٠٠
٧	سبزيانا	ألارك	٢٨٠٠٠
٨	امندورانا	سيبار	٢١٠٠٠
٩	اووراوم	شيروباك	
١٠	زيوسودر	بطل الطوفان	٦٧٠٠٠

فيكون هؤلاء الملوك الأسطوريون قد حكموا ٣٤٥٠٠ سنة. أما "زيوسدرا" بطل الطوفان السومري فقد دعاه البابليون "اوتنابيشتم" كما دعتة التوراة "نوح" والسومريون "زيوسودرا". وقد جاء في كتابات الكاهن البابلي "برعوشا" (بيمروسوس) أن أسم الملك الأول هو "الوروس" وأنه حكم ٣٦٠٠ سنة ولم يعرف سوى ذلك عن هؤلاء الملوك وهذا يذكرنا بأرقام خيالية أخرى، وإن كانت أقل بكثير من هذه الأعمار وهي أعمار الأبناء العشرة في التوراة قبل الطوفان، وربما كانت هذه الأرقام الكبيرة قد وضعت تعبيراً عن عصور يكون مجموعها تاريخ بدء الإنسان على الأرض أخذت أسماء وهميين. وما دام هناك ثبت للملوك فإن المنقيين عثروا في بلاد سومر على لائحة بأسماء المدن التي عرفت بها بلاد "سومر" وهي مدن دولة من الشمال إلى الجنوب كمايلي وعددها ١٣:

رقم	اسم المدينة	
١	سيبار	وإلهها "اوتو"
٢	كيش	وإلهتها "ننماخ"
٣	اكشاك	
٤	لاراك	

٥	نيبور	والهها	"انليل"
٦	ادب	والهتها	"تنماخ" (أيضاً)
٧	اوما	والهها	"شارا"
٨	لغش	والهها	"بنينغرسو"
٩	بادبيرا	إلهها	"لتراك"
١٠	أوروكك	والهتها	"انانا" السومري أو عشتار البابلية
١١	لارنا	والهها	"أوتو" (أيضاً)
١٢	اور	والهها	"نانا"
١٣	اريدو	والهها	"انكي"

ورئيس كهنة هذه المدن يدعى "شنجا" ويأتي بعده حاكم الدولة، أما الراعي فيختار إله المدينة اسمه "اتري" أو "لوجال" (ملك) وقد جاء في ثبت الملوك السومري أن الملكية أنزلت مرة ثانية من السماء وقد بدأت هذه المرة في مدينة "كيش" أول مدينة أقيمت بعد الطوفان، ويضم هذا التثبيت أسماء ٢٣ ملكاً حكم كل واحد منهم ألف سنة. وأما أسماؤهم فاثنا عشر منهم بأسماء سامية وستة سومرية وأربعة أسماء بلغة مجهولة وأسم غير مقروء ويبدو جلياً من هذه الأسماء أن الساميين كانوا مسيطرين في منطقة "كيش" كما يبدو الاندماج السلمي بين السومريين والساميين والفئة الثالثة.

ومن التاريخ الواضح أن سلالة "كيش" تبدأ جلية بعد ٢٨٠٠ ق.م.

وقد برز منها "إيتانا" الراعي الملك الثالث عشر من ملوك ما بعد الطوفان الذي يعني كثيراً اسمه في مطلع عهد البطولات أو التراثيين.

قلنا سابقاً أن الملكية أنزلت ثانية من السماء، وذلك بعد الطوفان فما يعني أنزلت ثانية من السماء؟ أن نزول الملكية من السماء يعني أن الصولجانات أنزلت من السماء، ووزعت على رؤوس الملوك المستحقين والآلهة عشتار بالتعاون مع زعيم الآلهة انليل هي التي أنزلت الصولجانات ووزعتها على رؤوس الملوك فهي بمثابة عقد بين الآلهة والملوك ليكون حكمهم مبنياً على الحق والعدل والسلام واحترام مصالح الفقراء وحمايتهم من الأغنياء وفي مقدمتها حماية الأراذل والأيتام. وإذا اختلف سلوك الملك عن هذه القاعدة فإن الشعب يأخذ المبادرة بخلع الملك وتعيين من هو أصلح منه وهذا ما حدث مرتين

الأولى في حاكم الملك الكنعاني الملقب بالكبير المتمركز في جنوبي سوريا إذ قام الشعب ضده لفساد سلوكه ورماء بالحجارة حتى الموت، وفي المرة الثانية في تصيب الملك "أوروكاجينا" ما بين النهرين الذي يعتبر أول مصلح في التاريخ وسيأتي ذكره في لائحة التراثيين من الملوك.

التراثيون الأوائل من الملوك :

الملك " إيتانا " ٢٨٠٠ ق.م

تبين من التنقيبات أن الملك " إيتانا " ملك "كيش" حكم نحو ٢٨٠٠ ق.م . وفي عهده نجحت مدينة "كيش" ونجاحها أدى إلى توحيد كل مدن سومر المتنافسة إلى حد ما. وتقول الأساطير المكتشفة أن الملك "إيتانا" اهتم بفكرة خلود الإنسان الذي لابد أن يموت فكيف يمكن إذن أن يخلد. أمام هذه التساؤلات الفلسفية صرّح " إيتانا " بأن الإنسان يخلد بولده. ولما كان هذا الملك محروماً طبيعياً من النسل توسل إلى الآلهة كي تمنحه ولداً. ففرى الملك يدخل في قصة أسطورية أشبه بالملحمة أدت إلى تخطيه الصعاب بعد أن عرف بأن نبتة الإنجاب هي لدى الآلهة "عشتار" ربة الخصب وركوبه فوق ظهر النسر مرتفعاً إلى أعلى السماوات. ولكن "إيتانا" بعد أن وصل إلى باب الآلهة "عشتار" خسرت قواه وطلب من النسر العودة إلى الأرض. وبالفعل عاد الملك "إيتانا" إلى الأرض وبعد فترة من الزمن أتاه ولد إذ إن "عشتار" لبنت له هذه الأمنية بناء على إيمانه كما جاء في الأسطورة. وعندئذ اعتبر "إيتانا" أنه أصبح خالداً بولده. وراحت مثلاً بين الناس.

الملك " أوروكاجينا " (٢٥٠٠) ق.م

في سنة ٢٥٠٠ ق.م نشأت نزاعات كثيرة في بلاد سومر وخاصة في مدينة "لغش" التي حكمها الكهنة عشرين عاماً. وكان هذا الحكم من أسوأ ما مرّ على مدينة لغش من حيث حرية المواطنين والضرائب التي أرهقت كاهل المواطنين. وكانت سلالة "أور-نانشة" هي الحاكمة في "لغش" إلى أن اختار الشعب حاكماً جديداً عليهم يدعى "أوروكاجينا" من صفوف الشعب السومري وأما أسباب هذا الانقلاب الديمقراطي الذي أعاد القانون والنظام في دولة المدينة و"مكن" حرية مواطنيها. وكل هذا ترويه وثيقة ألفها ودونها

"المواطنون بالسجلات" من موظفي "أورو كاجينا" تخليداً لذكراه. نوجز فيما يلي مضمون هذه الوثيقة التي تبين ماكانت عليه أحوال مدينة "لغش" ومبررات انقلاب "أورو كاجينا".

كانت دولة "لغش" في الألف الثالث ق.م، تتألف من مجموعة صغيرة من مدن مزدهرة تتجمع كل منها حول المعبد. ومن الوجهة الاسمية كانت مدينة "لغش" مثل دول المدن السومرية الأخرى، تحت سيادة ملك بلاد "سومر" كلها.

ولكن الواقع كان حاكمها الزمني الفعلي هو الـ "ايشاكو" الذي كان يحكم المدينة ممثلاً ونائباً عن الإله الحامي الذي خضعت له المدينة، من بعد الخليفة، أما كيف حصل مثل هؤلاء الحكام أي الـ "ايشاكو" على السلطة فامر غير معروف على وجه التأكيد. ومهما كان الأمر فإن وظيفة الـ "ايشاكو" صارت وراثية بمرور الزمن. وقد تعاون الحكام مع رجال المعبد على مد سلطتهم وإنماء ثروتهم على حساب "المعبد".

كان القسم الأكبر من سكان "لغش" من الفلاحين وأصحاب الماشية والصيادين والتجار والصناع، وأما النظام الاقتصادي فكان قسم منه اشتراكياً تحت سيطرة الدولة وقسم منه من النوع الحر الرأسمالي إلى حد ما. وكان المعبد يملك قسماً كبيراً من الأراضي كان يوجرها إلى الناس مقابل حصة معينة من الغلة.

والواقع أنه حتى الفقراء كانوا يملكون المزارع والبساتين والبيوت والماشية ويمكن القول بوجه عام أن الغنى والفقر والازدهار كانت نتيجة الجهود الفردية. وكان تعاطي التجارة الفردية يقوم بكل حرية بين المواطنين في المدينة.

كما أن سكان "لغش" فادوا جداً في السوق الحرة من الدول المجاورة سواء في البحر أو البحر. وكان المواطنون في "لغش" مقدّرين لحقوقهم المدنية ويعتزون بتعاملهم الحر. غير أن الأمور قلبت الموازين وأصبح المنفذون يستغلون جهد الشعب ابشع استغلال وقد شجعهم على ذلك امتداد سلطتهم على بلاد "سومر" مما جعلهم يزدادون طمعاً وتحكماً في رقاب الشعب.

هكذا كانت "لغش" بوجه عام غيران الأحوال تبدلت وظلم الحكام استشرى إلى أبعد الحدود وقد تحكّم المتنفذون في رقاب الشعب من كثرة الضرائب، وإلّكم نص الوثيقة التي تمّ العثور عليها في وصف حالة الضرائب كمايلي: "وضع ناظر السفن يده على السفن وقبض ناظر الماشية على الماشية صغيرها وكبيرها. واستحوذ ناظر صيد السمك على

مصائد الأسماك ومواضع صيدها. وكان المواطن يأتي بغنمه إلى القصر لجزر الصوف وكان عليه أن يدفع ضريبة مقدارها ٥ شقيقات أي نصف كغ من الفضة. وإذا طلق رجل امرأته كان أول "إشاكو" يأخذ ٥ شقيقات ويقبض وزيره "شيقلا واحداً" وإذا هبأ صاحب العطر نوعاً من الدهان حصل "إشكو" على ٥ شقيقات والوزير على "شيقل" واحد. واخذ ناظر القصر شيقلاً آخر. وأما عن المعبد وأملاكه فقد استحوذ عليها ال "إشاكو" على أنها ملك له. وقد استعملت نيران الآلهة في حرث أرض ال "إشاكو" وفضلاً عن ذلك فإن موظفي المعبد البارزين ولا سيما طبقة ال "سناجا" اغتصبت حميرهم ونيرانهم والكثير من غلاتهم.

وحتى الموت لم يُخلَّص الناس من الضرائب والجبايات، فحين كان يؤتى بالميت إلى المقبرة للدفن يتجمع عدد من الموظفين بقصد الاستحواذ من أهل الميت على مقادير من الشعير والخبز والجمعة. وغير ذلك.

فجباة الضرائب كانوا منتشرين في كل مكان الخ...

في هذه الفترة العصبية جاء إلى الحكم حاكم صالح يخاف الآلهة هو "اروكاجينا". الذي أعاد العدل وارجع "حرية المواطنين" الذين قاسوا المظالم الكثيرة. فازال ناظر الملاحين وناظر الماشية وابطل وظيفة ناظر صيد السمك إلى ما هنالك من ضرائب كان يؤن الشعب من وطأتها، وأهم ما قام به في حركته الإصلاحية هو إعلان "حرية" المواطن وذلك لأول مرة في تاريخ البشرية تعلن فيه "حرية المواطن" واسمها باللغة السومرية "امارجي" أساس الديمقراطية في التاريخ.

وقد اعتبر العلماء والمؤرخون انقلاب "اورو كاجينا" أول انقلاب "إصلاح اجتماعي"

في التاريخ.

الملك "جلجامش" ملك "أرك" (٢٧٠٠) ق.م :

ظهر الملك "جلجامش" في مدينة " أرك" تحت صفة ملك "ارك" وسيد "كلاب" وذلك بعد آخر ملك من ملوك "كيش" المدعو "آجا" (تلفظ الجيم كاف فارسية) وفي عهد الملك "آجا" ملك "كيش" نشب نزاع شديد بين مدينتي "كيش" و"أرك" على حدود المملكتين فأرسل الملك "آجا" إلى ملك "أرك" "جلجامش" إنذاراً يطلب فيه أن يعترفوا بسيادته على بلاد "سومر"

فأغاظ الأمر "جلجامش" ورأى أن لا مناص من الحرب مع "كيش" فدعا مجلس الشيوخ إلى الانعقاد والنظر في أمر الحرب فقرر مجلس الشيوخ اللجوء إلى السلم والمصالحة دون الحرب فأغاظ ذلك "جلجامش" فاضطر لإحالة القضية إلى مجلس "الرجال المحاربين" وما كان من هذا المجلس إلا أن قرر عدم الخضوع إلى إنذار "آجا" مفضلين الحرب على الخضوع. كل هذه الأحداث مدونة في قصيدة سومرية من نوع شعر الملاحم. وتتابع القصيدة القصة بتولها أن انذار "آجا" اقترن بحصار مدينة "أرك" مما اضطر "جلجامش" إلى مصالحة الملك "آجا" لشعوره بأن المعركة بينه وبين "آجا" خاسرة.

والذي يهمنا في هذه القصيدة ذكر وجود برلمان في مدينة "أرك" مجلس شيوخ "و" مجلس مواطنين " وهو نظام ديمقراطي يتبناه الغرب و منهم الولايات المتحدة الأمريكية في وقتنا الحاضر. فالروح الديمقراطية كانت سائدة في سوريا منذ الألف الثالث ق.م ولا يحق للغرب أن يعتبر نفسه مبدعا لهذا المبدأ الديمقراطي الذي عم جميع دول العالم .

هذا ما تميز به الملك "جلجامش" وأما الرائعة التي انتصر بها فكر "جلجامش" فهي المدونة في ملحمة المعروفة تحت "ملحمة" "جلجامش" وقد انتشر هذا السفر في جميع أرجاء الشرق الاوسط، كما أنه انتقل إلى الغرب فتهافت العلماء على دراسته ولا يزال حتى اليوم رغم مرور الزمن السحيق في القدام. مصدر احياء ودراسات حول ما جاء في ملحمة "جلجامش" التي تعتبر من أروع الملاحم في العالم ، لم تصل الى مستواها ملحمة "هوميروس" بالرغم من اللقب الذي منحه إياه العلماء فقالوا عنه "ابو الملاحم في العالم" متناسين جلجامش وملحمته التي تبرز هوميروس قدرة في وصف مطاوي الحياة وفلسفتها. أما لقب ابو الملاحم فيجب أن يمنح إلى "جلجامش" وليس إلى "هوميروس" علما بأن "جلجامش" يسبق "هوميروس" بألف وخمسين سنة.

فالغیر يسرق تراثنا ويتبناه عنوة ونحن صامتون وأجمل ما في ملحمة جلجامش هي العبرة التالية : بعد موت صديق "جلجامش" انكيدو اعتراه الوجيل من فكرة الموت ومصير الإنسان في عالم الظلام فتبنى ان يبقى خالدا، ولذلك ذهب لعند "اوتنابشتيم" رجل الطوفان البابلي الذي منحه الآلهة الخلود وطلب منه أن يطلعه على سر الخلود . وفي نهاية الأمر أذن رجل الطوفان و قال إلى "جلجامش" أن نبتة الخلود موجودة في قاع المحيط فرغب جلجامش أن يذهب و يحصل على هذه النبتة . و ما كان من " اوتنابشتيم "

أن سلمه إلى ملاحه حتى يدلّه على موقع وجود نبتة الخلود . وهكذا تم ولما وصل إلى الموقع المعهود ربط في رجله حجر و نزل إلى قاع المحيط حيث وجد نبتة الخلود فأخذها و عاد بها من عند "اوتنابيشتم" إلى مدينة أرك .

في الطريق مر ببخيرة فأعجبته مياهها و نزل فيها يغتسل بعد أن وضع نبتة الخلود على حافة البحيرة، و في هذه الاثناء أدركت الحية وجود نبتة الخلود فانسلّت و التقطتها هاربة بها . بعد أن انتهى "جلجامش" من الغسيل في البحيرة عاد ووجد أن النبتة قد فقدت، كما عرف أن الحية هي التي سرقتها . لقد حزن حزناً شديداً إذ أدرك أنه لن يكون خالداً و أنه سيموت كما مات صديقه "انكيكو" عند ذلك أعلن فلسفة الخلود بقوله : ما دام الإنسان سيموت فإنه "يخلد بأعماله" و هكذا فعل "جلجامش" أثر عودته إلى مدينته . لقد عدل عن سلوكه السابق و ظلمه و أخذ يحسن في أحوال أرك و يبني لها سوراً اشترك هو في بنائه . و بهذا التقى مع الملك "ايتانا" في فكرة الخلود فالملك "ايتانا" كما سبق ذكره يقول الإنسان يخلد بولده بينما "جلجامش" يقول "إنه يخلد بأعماله" و نحن اليوم بعد خمسمائة ألف سنة لا نستطيع أن نرفض هذه الحكمة، إنها خالدة بخلود الجنس البشري . فأين حكمة "جلجامش" من كل ما قاله "هوميروس" من حكم و مآثر . لقد آن الأوان أن نكشف عن كنوزنا الدفينة، و نسترجع ما سرقة الناس منا احتراماً للجهود الإنساني و الحقيقة.

الملك سرجون ملك أكاد ٢٣٥٠-٢٣٠٠

كان اسمه الحقيقي شروكين أي "الملك" الشرعي و كان من أصل وضيع و لم يعرف أباه ولدته أمه بالسر و ما كان منها إلا أن وضعت في صندوق و رمته في نهر الفرات . لكن اكي البستاني انتشله من النهر و رباه في "كيش" و ترعرع فيها ثم أصبح ساقى الملك "اورزبابا" ملك "كيش" ثم و بعد أن كبر استطاع التغلب على الملك و استلام الحكم . تذكرنا قصته بقصة "موسى" وانتشاله من النيل أما قصة "شروكين" فإنها قبل قصة موسى بألف سنة و قد خلد هذه القصة شاعر آشوري من القرن السابع ق .م فقال :

"أمي كانت المتقلبة ووالدي لم أعرفه

"أعمامي أحبوا التلال وسكنوها
 "ازوبيراتو" مسقط رأسي تقع على الفرات
 " حبلت بي أمي " المتقلبة وبالسر ولدتني
 " في سلة القصب وضعتني وبالقبر غلفتني
 " وفي النهر ألفت بي ومياها لم تتلعتني
 " بل حملني وإلى " آكي " البستاني اتخذني
 " ثم جعلني " آكي " البستاني لديه بستانياً
 " وأنا بستاني منحتني عشتار المحبة والنعمة
 " فمارست الملك تلك السنين " .

" وشروكين هذا بعد أن " أزاح أورزبانا " عن عرشه سار ضد " لوجال زاغيري " إمبراطور سومر (٢٣٧٥ - ٢٣٥٠) ق .م. وتغلب عليه بشكل مدهش ثم اعتقله وأحضره إلى " كيش " مربوطاً بطوق كلب وإلى جانب موهبة " شروكين " القيادية له فضل في تسليح الجيش الأكادي وإتباع تكتيك حربي حديث مثل إدخال القوس في التسليح والرمح كما استخدم طريقة القتال الفردي " رجل مقابل رجل " .

وبعد احتلال " أرك " هاجم أورولغش وأوما وكان له النصر حتى احتل كل سومر وهدم مختلف أسوار المدن وغسل أسلحته في البحر الأسفل (الخليج) .

كان " سرجون " رجل دولة بالمعنى الصحيح فلم يكتفِ بأن يصبح ملك " كيش " بل أسس عاصمة جديدة في مكان لم يكشف عنه حتى الآن سماها " أكادو " فيها القصور ومعابد عشتار و" زبابا " إله الحرب الكيشي . وقد سمي نفسه " شروكين " أي الملك الشرعي الذي انقلب إلى " سرجون " وعين حكاماً أكاديين على المدن، وأصبحت اللغة الأكادية اللغة الرسمية مستعملة جنباً إلى جنب مع السومرية .

وبعد أن انتسب له الحكم في " سومر " عبر دجلة نحو إيران فغزا عيلام وأخضع " الغوتيين " في جبال زغروس كما أخضع القينجيين أصحاب الرؤوس السوداء سواء في " سومر " أو في سفوح الجبال المتاخمة كما أخضع جبال " الحوريين " و " سوبارتو " . كما سار سرجون بجيشه عبر الفرات على " بلاد مهبط الشمس حتى نهايتها فاحتل " اندرو " حتى البحر الغربي (المتوسط) ثم سار نحو جبال طوروس حيث غابات الأرز وعبرها حتى " قونيه " إلى تركيا . كما عبر البحر ودخل قبرص و " كريت " وكما جعل دلمون (البحرين) مركز التجارة مع الهند وواصل زحفه حتى " عريش مصر " حيث لاقاه الفرعون " بيبى الأول " ودارت معارك بينه وبين جيش سرجون وغلب " بيبى الأول " على أمره وعاد إلى مصر غير أن " سرجون " لم يلحق به لأن خطة سرجون لم تكن ليحتل مصر وإنما لتوحيد سوريا الطبيعية فقط ونقول كتابات تلك الأيام أن " سرجون " سجد أمام إله القمح " داجون " فأعطاه الأقاليم العليا ، " ماري " و " يرموثي " و " اييلا " حتى غابة الأرز والجبل الفضى (الأمانوس و طوروس) ويخلد شاعر آشوري فتوحات سرجون بقصيدة يقول فيها وذلك في القرن السابع ق . م مخلداً قصة سرجون وولادته :

" أنا شاروكين ملك أكاد القوى

" حكمت ذوي الرؤوس السود وملكت عليهم

" ببلطات البرونز قهرت الجبال العظيمة

" تسلفت السلاسل العليا

" وعبرت السلاسل الواطئة

" جبت بلنران البحر ثلاث مرات

" قبضت على " دلمون " بيدي

" والى " دير " العظيمة صعدت ..

" وأبى ملك يأتي من بعدي

" فليحكم ذوي الرؤوس السود ويملك عليهم

" ليقهر الجبال العظيمة بالبلطات

" ليتسلق سلاسل الجبال العالية

" وليعبر سلاسل الجبال الواطئة

" وليدر في بلدان البحر ثلاث مرات

" وليضع " دلمون " في قبضة يده

" وليصعد إلى مدينة " دير العظيمة

ولما مات شروكين خلفه ابنه " ريموش ٢٣٠٠ - ٢١٩١ ق . م وبعد ريموش أخوه " ماستوزه " (٢٢٩١ - ٢٢٧٥) وخلفه ابنه " نارام سين " ومعناه " حبيب سين " (٢٢٧٥ - ٢٢٤٠) ق . م .

إنها سلالة ملوك وقواد وكم نحن اليوم بحاجة إلى أمثالهم .

حمورابي الملك الأموري (١٧٩٢ - ١٧٥٠) :

يطلق على حمورابي نسب الأموري نسبة إلى قبائل الاموريين، والاموريون هم سكان غربي ما بين النهرين، وهم بالاصل كنعانيون أطلق عليهم اسم اموريين نسبة لموقع سكنهم أي غربي العراق و أما من حيث العرق فهم كنعانيون شرقيون إذا ما قيسوا بالكنعانيين الغربيين سكان سواحل سوريا أو بلاد الشام في الوقت الحاضر .

ظهر حمورابي على زمن " زمري ليم " ملك ماري بعد أن أخضع ملوك العراق إلى سلطانه في حروب متواصلة دامت ثلاثين سنة . وقد حج له في هذه الحروب التوحيدية أن يحتل مدينة ماري ويخضع وملكها " زمري ليم " إلى سلطانه ، ويحتل أيضا ٣١ مملكة مدينة في بلاد ما بين النهرين : وهكذا بقي على حمورابي أن يوحد الفكر الديني في بلاد ما بين النهرين بعد أن وحدها جغرافياً . فما كان من حمورابي وكهانه إلا أن أعلنوا تكويناً إلهياً جديداً عرف بالتكوين " المردوخي " وهو التكوين الذي انتحلته التوراة و تبنته .

وقد عرف التكوين المردوخي بالمذهب الانفرادي، أي أنهم انفردوا بعبادة إله واحد من بين ٥٢ إلهاً كبيراً والمذهب الانفرادي هذا (He'motheisme) هو حلقة الوصل بين

المذهب الإلهي التعددي (Polythe'isme) والتوحيدي (Monothe'isme) ولما وقف يهود بابل -أثناء السبي- على هذا التكوين ثبتوه تحت اسم " يهوه " إله اسرائيل دون أن يسقطوا بقية الآلهة كما تبين لكم في هذا الكتاب في فصل اليهود والتوحيد.

هذا من حيث الاستراتيجية الدينية بصورة عامة، وأما من حيث التشريع فقد عرف حمورابي بأنه أول مشرع في العالم وشريعته متكاملة، وبالحقيقة فإن مشرعين قد سبقوه في هذا المضمار وهم : " اشنونا " " اورنمو " و " لبيت عشتار " ولكن تشريعهم كان مقتصرأ على بضعة مواد فقط، وكان ذلك قبل حمورابي بما يقارب ١٢٠ سنة وأما شريعة حمورابي فكانت متكاملة وتشمل ٢٨٢ مادة بينما شريعة اشنونة ٦٠ مادة وشريعة لبيت عشتار ٣٧ مادة . وشريعة " اورنمو " ٢٩ مادة .

وعلى هذا الأساس يعتبر حمورابي أعظم ملوك بلاد ما بين النهرين وملوك سوريا الطبيعية جغرافياً ومن حيث إقامة العدل والإصلاح الاجتماعي وتوحيد الفكر الديني، بينما كانت مدن العراق في منازعات لا تنتهي فيما بينها من حيث المعتقدات الدينية، فأعلن حمورابي أن إله بابل هو مردوخ، وبذلك انتشت المنازعات الدينية.

إن ملكاً هذا شأنه حق له الخلود في تاريخ سوريا كما حق لأبناء سوريا أن يعتزوا بانتمائهم إليه جيلاً بعد جيل .

٦- " أسرجدون " : أحد ملوك مملكة " آشور " ابن سنجار حكم من عام ٦٨١ ق.م حتى ٦٦٨ ق.م. هاجم مملكة يهوذا وفرض على اليهود ضرائب باهظة وانتصر على المصريين وأعراب شمالي العربية .

٧- سنحاريب : أحد ملوك الدولة الآشورية - ابن سرجون الثاني حكم من سنة ٧٠٥ ق.م إلى ٦٨١ ق.م . وطد أركان الدولة وحارب الفرس والمصريين وجيوش آسيا الصغرى وقضى على الثورات الداخلية .

٨- نبوخذ نصر : أشهر ملوك الدولة البابلية الأخيرة التي قامت فيما بين النهرين من القرن السابع قبل الميلاد إلى عام ٥٣٩ ق.م وانتهت بالفتح الفارسي وقد وحد نبوخذ نصر

سوريا الطبيعية، وحطم مملكة يهوذا في القدس وسبى اليهود إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م واستمر سبيهم إلى عام ٥٣٦ وقد ملك عام ٦٠٤ ومات عام ٥٦١ ق.م .

٩- آشور باتي پال : أحد ملوك الآشوريين وهو ابن أسرحدون اشتهر بحبه للعلم والآداب فنسخ جميع آثار الأقدمين واحتفظ بها في مكتبة، وقد أدى اكتشاف هذه المكتبة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إلى إظهار بعض آثار الفكر السوري الضخمة، وقد ضم مصر إلى امبراطوريته وحكم من عام ٦٦٨ إلى عام ٦٢٨ ق.م .

١٠- تقلاب فلاحصر : أحد الملوك الآشوريين أعاد وحدة البلاد السورية بعد ضعفها وانقسامها حكم من حوالي ١١٢٥ إلى حوالي ١١٠٠ ق.م .

١١- زنوبيا : اسم زنوبيا يوناني وأما الاسم الشرقي العربي فهو الزباء وكانت زنوبيا وهذا بموجب تصريحها من سلالة كليوبترا، ويقال أنها كانت أجمل بكثير من كليوبترا وكانت كالعذراء لا تجتمع بزوجها أذينة إلا مرة في الشهر وذلك حفاظاً على النسل فقد كانت زنوبيا ذات ذهن وقاد وشخصية آسرة، وقد اتخذت مستشاراً لها الفيلسوف الشهير العالم لونجين وكان يعلم زنوبيا جمالات اللغة اليونانية واللاتينية، وكانت نجاحات أذينة العسكرية بفضل نصائح وشجاعة زوجته زنوبيا، كما كان أذينة يمارس مطاردة الحيوانات المفترسة عندما لم تكن لديه مشاغل عسكرية وكانت زنوبيا رفيقته في هذه الهواية الخطيرة .

في عام ٢٧٦م قتل أذينة وهو في أوج مجده وبقي موته سراً بين مطاوي التاريخ وكان من الطبيعي أن يخلفه ابنه وهب اللات ولكن لحادثة سنة حلت محله أمه زنوبيا .

كانت زنوبيا تفكر باحتلال البلدان المجاورة وضمها لمملكته قبل فارس والعرب وأرمينيا، غير أن مستشارها لونجين ركز فكرها على مصر فقط ثم أرسلت رئيس أركانها "زبداي" واحتلت مصر في غياب بروبوس الروماني حاكم مصر وعند عودته وجد أن التدمريين قد احتلوا بلده .

وفي هذه الأثناء كانت روما تتفقد أوضاع زنوبيا بحذر شديد رغم فشل روما في حروب متواصلة مع الغوطيين إلى أن انتصر على هؤلاء "أورليان" الروماني، ومن هنا

بدأت أطماع أورليان تتجه نحو مملكة زنوبيا، وقد تم له بنهاية الأمر التغلب على جيش زنوبيا واحتلال تدمر وأخذ زنوبيا أسيرة الى روما مقيدة بسلاسل من ذهب، وأما انكسار جيش زنوبيا فلم يحدث إلا بعد خديعة وخيانة من قبل بعض اليهود المندسين في بلاط تدمر، ففي أثناء المعارك الطاحنة بين جيش تدمر وجيش أورليان قاومت الشجاعة زنوبيا الى أن تذهب عبر الفرات تستجد الأرمن والأعراب والفرس ضد الرومان، وما أن وصلت إلى "دوره أوروبس" حتى واجهتها كوكبة من جيش أورليان قبل عبورها الفرات وأسرتها .

لقد وجدت زنوبيا الشرق الأوسط برمته ومصر ويقولون عنها أن كثيراً من النساء قمن بأعمال تاريخية عظيمة ولكن ولا واحدة منهن تشبه زنوبيا ملكة سوريا العربية التي أنهت حياتها بمجد لا مثيل له في تاريخ البشرية ولولا الخيانة لغيرت وجه التاريخ .

ثانياً : من القواد هاني بعل :

رغم أن ملوك ما بين النهرين كانت لهم صفة القيادة الى جانب صفة إدارة المجتمع فقد عرفوا كحكام أكثر منهم قادة عسكريين وذلك بخلاف هاني بعل .

فمن هو هاني بعل ؟؟

إنه ابن " هملقار " برقة قائد جيوش قرطاجة . اشتهر هاني بعل بحروبه ضد الرومان واجتياز جبال الألب للمرة الأولى في التاريخ، وبعد أن سحق الجيوش الرومانية حاصر روما نفسها ولم يفك الحصار عنها إلا بعد هجوم الرومان على قرطاجة واشتهر هاني بعل بالتخطيط الحربي الممتاز الذي جعله أعظم قواد العالم من حيث المقدرة الفنية، وتدرس خططه في المدارس العسكرية في العالم أجمع، وبعد أن تغلب الرومان على جيوش قرطاجة وهدموها عاد الى وطنه السوري وحاول إقناع المدن الساحلية بمساعدته ضد الرومان فلم يفلح وهذا ما سهل للرومان اجتياح سوريا كلها . ولد عام ٢٤٢ ومات عام ١٨٣ ق.م بأخذه السم حتى لا يقع بين أيدي الرومان .

ثالثاً : رواد الفكر السوري الأوائل :

يعترف علماء الغرب أن سوريا هي مهد الحضارة العالمية، وأن سورية أعطت العالم كل علم وفن وفلسفة. ويقول عالم الآثار الفرنسي " اندره بارو " مكتشف مدينة ماري

وذلك بعد أن طلع على حضارة ماري يقول: إن كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يعيش فيه وسورية فأين هي معالم هذه الحضارة العظيمة الواسعة الأطراف ؟ إنها على لسان أبنائها في كل زمان ومكان وفي لغات مختلفة بأن الحضارة السورية كانت مفتوحة على العالم غير معلقة وبخاصة على اليونان جارتها ومن اليونان انتقلت إلى كل الأصقاع. أما العالم الذي تغذى بالحضارة السورية عن طريق اليونان أو غيرها على لسان هذه الحضارة غير السوريين، واعتبروها من أصل غير سوري أي من أصل من وضعوها بلغتهم غير السورية ولذلك بدأت تضع هويتهم ولما نزل .

إننا في هذا الفصل سنميط اللثام عن هؤلاء الرواد الأوائل احتراماً لهم وللحقيقة التاريخية التي لا تغيب معالمها إلى الأبد .

١-أوروكاجينا : رغم أن اسم "أوروكاجينا" قد ذكر في مطلع هذا الكتاب في لائحة مشاهير ملوك سوريا إلا أنه من حيث الإصلاح الاجتماعي يعتبر أول مصلح في التاريخ البشري وهو أبو الحرية . قام أوروكاجينا "بانقلاب على الحكام واستولى على الحكم وأعلن هو نفسه أنه فعل ذلك تلبية لأمر الإله "نين جرسو" الذي نصبه نائب الإله وكيله حقاً والإصلاح الذي قام به أوروكاجينا بأمر الإله فعزل وكلاء الملاحين ومنع مصادرة قواربهم وحرم على رئيس الرعاة الاستحواذ على قطعان الرعاة وجعل سلطة الإله "نين جرسو" فوق سلطة الحكام إلى ما هنالك من إصلاحات شملت جميع مرافق الأمة معلنة حرية المواطنين من أجل كل ذلك نعتبر أروكاجينا إلى جانب صفته الملكية، من رواد الفكر الأوائل ويأتي بعده حمورابي .

٢-حمورابي : يعتبر حمورابي من رواد الفكر الحضاري السوري بالإضافة إلى أنه ملك عظيم، وحد ممالك ما بين المدن في بلاد ما بين النهرين في مدة ثلاثين سنة من حكمه الذي دام اثنتين وأربعين سنة، وبذلك يكون قد وحد جغرافياً بلاد ما بين النهرين .

أما من الناحية السياسية الاجتماعية فإن الممالك التي احتلها ووحدها وهي إحدى وثلاثين مملكة كانت في نزاعات كبيرة جداً فيما بينها على أساس العقائد الدينية القائمة ، فالمذهب الالهي الذي كان قائماً هو المذهب التعددي فكان لكل مملكة مدينة إله تعبده ورعايا الإله كانوا يتباهون بانتمائهم إليه، ويفخرون به على آلهة المدن الأخرى فتقوم الخصومات بين المدن المؤدية إلى حروب محلية وهي تقضي على وحدة البلاد .

في هذه الأثناء وبعد أن وحد حمورابي مناطق وادي الرافدين جغرافياً انتهز فرصة توحيدها فكرياً على أساس الدين، فقد حدث في ذلك الزمان انقلاب ديني لا يقل روعة عن مضمون شريعة حمورابي ألا وهو الانقلاب المردوخي، فقد نودي بمردوخ زعيماً للآلهة وإله بابل دون أن تسقط بقية الآلهة وهنا نرى حمورابي يؤيد ألوهية مردوخ من بين اثنين وخمسين إلهاً كبيراً تحولت كل قدراتهم إلى مردوخ . وقد عرف هذا المذهب في أيامنا الحاضرة بالمذهب الانفرادي بعد التعددي صلة الوصل بين التعددي والتوحيدي الذي أعلنه إبراهيم الخليل . وهنا لابد من السؤال ما إذا كان حمورابي هو مبدع المذهب الانفرادي أو أن كهان المعابد أعلنوا هذا المذهب، ووجد حمورابي من مصلحته الكبرى تبنيه فتباه وأطلق على الإله مردوخ صفة إله بابل ؟ في الحالتين إن للملك حمورابي الفضل الأعظم في تثبيت هذا المذهب دعماً لوحدة بلاد ما بين النهرين الجغرافية .

٣- طاليس أبو الفلسفة :

يعتبر طاليس مؤسس الفكر الفلسفي في اليونان، وهذا ما تعلمه ويتعلمه كل تلامذة الفلسفة فمن هو طاليس ؟ إنه كان فينيقياً يقول هيرودوت في كتابه الأول " كليو " في دائرة المعارف البريطانية صفحة ٤١ ما يلي :

" طاليس رجل ملطيه الفينيقي الأصل " الخ ...

ويصرح " ديوجين " في كتابه عقائد وأحكام الفلاسفة الكبار " بقوله عن طاليس أنه " طاليس الفينيقي "

والفيلسوف " كليمينيس " الاسكندري يوافق على قول " ديوجين "

كما أن "سيمليسو" الكيليكى من كيليكية السورية يذكر في تعليقاته أن اسم "طاليس" هو بالأصل اسم "طالي" على أن السين مصطلح يوناني يلصقون حرف السين ببعض أسماء العلم . وطالي باللغة الآرامية معناه العالي أو المرتفع .

وعلى هذا النحو نرى أن الكثير من الفلاسفة والمؤرخين يؤكدون أن "طاليس" كان فينيقياً وقد حصل على معارفه من فينيقية ومصر وبابل .

وقد صنّفه "أفلاطون" بين أكبر سبعة حكماء في العالم . وهم بحسب الأهمية :

طاليس - بيتاكوس - سولون - كليوبولس - بياس شيلون - منرون .

ومن كتابات "ديوجين" يفهم أن طاليس هو من سلالة قدموس ابن الملك الفينيقي "اجينور" وأخو "اليسار" وقدموس هذا هو الذي علم اليونانيين القراءة والكتابة والحساب والغناء إلى جانب أبجدية أوغاريت كما بنى مدينة "طيبة" في اليونان .

ويبدو أن طاليس اشتغل بالتجارة ضرب من ضروب الحكمة إذ إنها تجلب الخيرات من البلدان القاسية .

ومن المتعارف عليه أن طاليس هو أحد الحكماء السبعة الذين مرّ ذكرهم واجتمعوا مرة وطلب من كل واحد أن يعطي قولاً مأثوراً فقال طاليس : "إعرف نفسك" وقال سولون : "لا شيء يزيد على حده" وقال "بيتاكوس" انتهر الفرصة" وقال "شيلون" : الغرور قبل السقوط" وقال "بريندر" : كل شيء بالمزاولة" وقال "بياس" : أكثر الناس أشرار" ومن المعروف عن "طاليس" الكثير من العلوم والنظريات وأنه هو الذي علم اليونان الهندسة والفلك والفلسفة والكثير من النظريات .

إنه حقاً مجمع علمي قائم ويحق لأبناء سورية أن يمجّدوه ويقتدوا به .

٤- انوكسيمندر :

ولد في بابل وكان أبوه نبيلاً يدعى "بركسياد" وقد تعرف إلى "طاليس" في بابل ليدرس فيها علم الفلك وذلك في عهد الملك "نبوخذ نصر" وقد أعجب به "طاليس" وأحبه . كان يقول في باب الفلسفة أن أصل الأشياء هو اللامتاهي وقد خالف "طاليس"

" في نظريته القائلة أن الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحـد الذي تتكون منه الأشياء وقد علل نظريته بقوله : " إن الماء هو استحالة إلى سائل بواسطة الحرارة " فالحر والبارد إذاً سابقان للماء " ثم قال " إن المادة الأولى التي هي لا متناهية بمعنيين . من حيث الكيف أي أنها غير معينة ومن حيث الكم أي أنها غير محدودة . وهي مزيج من جميع الأضداد كاليابس والرطب والحر والبارد وغيرها ... وإن هذه الأضداد كانت مختلطة في البدء ومتعادلة ، وغير موجودة كما هي الآن ، إلى أن اتصلت محركة المادة وظلت الحركة تفصل بعضها عن بعض وتجمع بعضها من بعض بكميات مختلفة إلى أن تألفت بهذا التلاقي والانفصال كل الاجسام الطبيعية ... وكان الحر والبارد أول ما انفصلا .. فتألف البخار بفضل الحرارة ... ومن البخار كلن الهواء ... أما ما رسب فصار يابساً بالتدريج ... ومن هذا اليابس كان البحر وكانت الأرض .. أما الحياة فقد ولدت من الرطوبة بعد التبخر أي من الطين الذي هو مزيج الهواء والماء والتراب .

وقال أيضاً : ولدت المخلوقات الحية من العنصر الرطب ورأى : ان المبدأ المديم لكل الظواهر المحدودة لا يمكن ان يكون هو نفسه محدوداً . فاساس الوجود برمته لا بد ان يختلف عن عناصر الواقع وأن يكون ذا طبيعة اخرى وهو يشمل في الوقت ذاته كل تباين وتقابل وميزة فدعا هذا المبدأ اللامحدود و اللامتناهي .

وكان يقول أيضاً : ان السبب المادي والعنصر الأول للأشياء هو اللامحدود وهو ليس الماء ولا أحد العناصر، بل مادة تباينها جميعاً لا يحدها حد، نشأت منها السموات وما فيها من عوالم .

وهو يدعو اللامحدود مادة أو جسماً، وهو أيضاً لم يعزُ أصل الأشياء إلى أي تبدل في المادة بل قال : ان الأضداد في الطبقة الأساسية هي جسم لا محدود تفرز عنها .

والضاد التي عناها انوكسيمندر هي الاضداد تفرز عن اللامحدود دون الإشارة إلى عملية آية . وقد عبر عن ذلك بقوله وفي ذلك الذي تنطلق منه الاشياء ، تتوارى الاشياء ثانية . كما يجب : إذ يعوض بعضها البعض عن غيره بموجب ترتيب الزمن

واللامحدود هو خالق أزلي وقال أيضاً : تتأرجح الأرض طليقة لايربطها بمكانها شيء وهي تبقى حيث هي لأنها على بعد متساوٍ من كل شيء .

وأما المخلوقات الحية فيقول إنها نشأت من عنصر الرطوبة وهو يتبخر في الشمس والإنسان كان كحيوان آخر هو السمك في بدايته .

إننا نرى في عمق تفكير انوكسيمندر النزعة الفلسفية الفذة فهو فيلسوف قبل كل شيء ولا عجب من بلد كسوريا أن يعطي العالم كل علم وفن وفلسفة .

٥- بيتاغور (٥٨٠-٥٠٠) :

وعظيم آخر من بلادنا هو " بيتاغور " الذي بعد ٢٥٠٠ سنة على وفاته شاغل الناس ودنيا الفلسفة . إن له مريدين في أصقاع الأرض كافة ومن بينهم الدروز في سوريا والعالم الغربي في أمريكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وحتى البرازيل .

كما أنه في مؤسسة جامعية تدعى " بروفيدا " ينتمي إليها مفكرو العالم وطلاب وأساتذة الجامعات في الفلسفة . ينتصب في وسط القاعة تمثال بيتاغور فيدخل الطلاب إلى هذه القاعة باحترام كلي يدرسون تعاليمه ونظرياته وكلها أسرار وحكم .

فمن هو "بيتاغور " هذا الرجل العظيم ؟ كان أبواه فينيقيين من مدينة صيدا . واسم أبيه " أمني سركو " ومعناه " خائف الله " واسم أمه " بارتيني " ويعني " الابنة الحنونة " .

ذات يوم قرر الزوجان زيارة صيدا من جزيرة " ساموس " التي كان يسكنانها وبعد شهر من وصولهما ولد لهما طفل جميل سمياه " بيتاغور " وهو اسم فينيقي معناه الحكمة أو " بيت الحكمة " . قضى بيتاغور طفولته بين والديه ومن ثم بعد أن كبر وأصبح في الثامنة عشرة من عمره راح يدرس مع الفيلسوف " هيرمودامو " في " ساموس " . وفي العشرين مع " فيرسيددي سيراى " وسافر بعد ذلك الى " ملطية " حيث التقى " بطاليس " وتلميذه البابلي " أبو كسيمندر " فاستقبله بترحيب ومحبة وبعد فترة وجيزة وقد رأى فيه " طاليس " نكأء خارقاً نصحه بالسفر الى فينيقية وبابل ومصر يتتقف فيها على أيادي الكهنة .

ذهب الطالب الشاب الى فينيقية حيث أخذ يدرس نظرية العالم الفينيقي " موخوس " أبو الذرة ... وأسرار الدين ثم قصد دير جبل الكرمل قرب مدينة حيفا في فلسطين .
ومن أرض كنعان توجه بعد ذلك إلى مصر حاملاً رسالة توصية إلى كهنة فنجيس " الذين قبلوه بعد تجارب عديدة .

بقي في مصر اثنين وعشرين عاماً يدرس ويتأمل فبدأت كنوز الحكمة والمعرفة تتفتح أمامه .

وعندما احتل الملك " قمبيز " مصر عام ٥٢٩ ق.م ووقف على أمر التلميذ " بيتاغور " نفاه الى بابل . حيث بقي اثني عشر عاماً يتابع دروسه إلى أن تسلم أصول عقيدة الكلمة والنور .. أو الكلمة الكونية ... وعلم تطوير النفس وتطهيرها بواسطة التحولات السبع .

وفي بابل عمق معارفه في علم الرياضيات وعلم الأرقام والمبادئ الكونية والهندسة وعلم الفلك كما درس الديانات المنتشرة هناك من بابلية وفارسية وفينيقية ويهودية وتاريخ الأمم والشعوب والأجناس . وعندئذ قرر العودة الى جزيرة " ساموس " وتم له ذلك .

وبعد فترة من الزمن ذهب مع والدته الى " دلفوس " ومنها الى " كروتونا " وهي مدينة فينيقية في جنوب إيطاليا . حيث سمحت له السلطات بتأسيس مدرسته التي نالت شهرة واسعة وأصبحت أم المدرسة الأفلاطونية . وهناك الكثير من أتباع " بيتاغور " وتلاميذه من الجنسين وكان الشعب يزداد تعلقاً به فأخذوا ببلاغته وفضيلته .

وكانت دروسه تخضع إلى نظام صارم محفوف بالرياضة جسدية وصلوات ودروس وصمت تام طويل أحياناً وطاعة تامة للرؤساء وتجارب قاسية ومعموديات إلى أن يحين التكرس وفق درجات أولها الأعداد ثم التطهير والتكامل و " الأبيفانيا " أو الكشف ويبلغ معه الإنسان قمة التكريس فتتكشف له الأمور وأسرار الوجود والحياة

وصل في سن الستين إلى أوج شهرته حيث التقت به إحدى مريداته وركعت أمامه طالبةً منه أن يخلصها من حب مستحيل وتعيس . وبعد أن كشفت له عن حبها له

ارتاح المعلم ورأى في هذه الفتاة ضالته المنشودة فتزوجها ورزقت منه بابنين أطلق عليهما اسمين فينيقيين هما "اريمنت" و"تلوجي" وابنة دعاها "دامو" وكلها أسماء فينيقية وهكذا عمت "البتاغورية" كل أرجاء إيطاليا الجنوبية محتذيةً حذو "كروتونيا" حيث سادت فيها حكومات تدين بتعاليم "بيتاغور" وتتقن أفكاره .

ومن جملة تراث البيتاغورية ما يلي:

— الأشعار الذهبية لبيتاغور

— الوصاية الذهبية

— تنقيف النفس

— التكامل.

ونحن إذ نتوقف عند هذا الحد من الشرح حول حياة بيتاغور وما أنتجه العالم لن ننسى أنه سوري الأصل داعين أجيالنا المساعدة إلى دراسة البيتاغورية علماً وفلسفةً ورياضةً روحيةً إحياءً لنا وتمجيذاً للمعلم الكبير الذي نسي السوريون اسمه وفي ظنهم أنه يوناني الأصل . وما أكثر العلماء رواد الفكر السوريين الذين تبنتهم الامم واعتبرتهم من أبنائها ونسيتهم سورية .

وأما موت "بيتاغور" فلخصه كما يلي:

كان "سيلون" من أحد تلاميذ "بيتاغور" سيء الأخلاق إلى درجة أنه جمع بعض الأشقياء وأشعل النار في بيت أحدهم وهم مجتمعون ومن بينهم ثمانية وثلاثون بيتاغورياً من أصل أربعين وسرعان ما التهمت النار المنزل وقضت على من فيه بينهم "بيتاغور" ما عدا تلميذين تمكنا من النجاة.

وقد استمر تلامذته ثلاثمائة سنة من استشهاده يذكرون "بيتاغور" ويؤدون رسالته يعتبرونه من أكبر المنارات الحضارية الثقافية العقلية في العالم ولا يزال هكذا حتى اليوم.

٦-زينون الكبير ٣٣٨-٢٦٤ ق.م

لقد سماه الكاتب الكبير الأستاذ نواف حروان "زينون الكبير" تمييزاً له عن يحمل اسمه.

كان أبوه تاجراً فينيقياً اسمه "منسى" يقيم في جزيرة قبرص انتقل منسى بعد أن أتاه ولد سماه "زينون" إلى مدينة "سيتوم" في قبرص . وكان "منسى" يتعاطى تجارة الأرجوان غير أن "زينون" أحب العلم أكثر من التجارة فأكتب على الدرس وقرأ تاريخ الأقدمين وحكمة البابليين والفينيقيين، كما قرأ حكمة "أحقار" وفلسفات "طالس" و "أنوكسيمندر" و "أنوكسيمين".

ومارس التجارة فترة من الزمن بعد موت والده ٣١٢ ق.م وهو يتابع دروسه.

أقام في "اتينا" حيث أخذ يحتك بالفلاسفة. كان يصغي للفيلسوف "أقريطس" زعيم المدرسة "الكلبية" فاشمأز من أقواله. ونهض ليغادر المكان فأمسك به "أقريطس" من عباءته لكي يرغمه على البقاء فقال "زينون":

" إن الفلاسفة يجذبون من آذانهم وليس من عباداتهم يا أقريطس

موت زينون : كان زينون في أحد المجالس وقد تجاوز الثمانين. ولما قام مودعاً تعثر في مشيته وكسرت يده وأصابته جروح. فرفع أنظاره نحو السماء وأنشد البيت التالي وهو يخاطب الله : "لماذا استدعيتني؟ كنت آتياً من تلقاء نفسي"

ولما حمل إلى بيته وهو لا يقوى على التحرك قرر أن ينتحر فشرب السم ومات.

حزن عليه الاتينيون حزناً عميقاً وصدر عن الحكومة قرار هذا نصه:

" بما أن زينون بن "منسى" من مدينة "سيتوم" أصلاً أقام في مدينتنا يعلم الفلاسفة سنين عديدة، وقد اتضح لنا أنه كان مستقيماً في جميع أعماله وأنه مارس الفضيلة التي كان يعلمها، وأنه ثابر على حث تلاميذه على التمسك بها، رأى الشعب أن من واجبه وحقاً عليه، أن يكرمه علناً ويمنحه تاجاً من الذهب استحقه بورعه وشهامته وأن يشيد له قبراً بالقرميد الأحمر من خزينة الدولة، وأن يكلف خمسة اتينيين بتنفيذ هذه المهمة،

وأن ينقش هذا القرار على عامودين، أحدهما من المدرسة "الأفلاطونية" وثانيهما من المدرسة "الارسططالية" وأن يسلم المال حالاً، من أجل مصلحة الدولة، لكي يعلم كل الناس أن أهل "أثينة" يعرفون كيف يكرمون ويمجدون ذوي الفضل والمحسنين أحياء وأمواتاً، إن قرار الحكومة هذا يدل على إن الاتيين كانوا يقدرون "زينون" حق قدره.

ونحن اليوم لا نطلب من طلابنا إلا أن يستوعبوا فلسفة "زينون" وقد رثى زينون أحد تلامذته وهو الفيلسوف "زينودوت" وألقى على قبره قصيدة نقدم منها هذه الأبيات :

" زينون أيها الرجل الذي شموخ جبهته، يعادل علو همته " أي مجد بلغته؟

" زينون أيها الرجل الوقور، ذو الحاجبين الكثيفين لقد اكتشفت " العقلنة ومارستها بفهم عميق.

"أهذه هي الفضيلة؟ أم الطيران إلى الخلود؟

"كنت زاهداً متواضعاً واحتقرت الغنى.

"أنكرت ذاتك يا مؤسس العلم الرصين.

" فمن يستطيع أن يضاهيك؟

"وإذا كان وطنك فينيقياً

"من يستطيع أن يلومك

"ألم يكن قدموس فينيقياً؟

"ألا يدين له اليونانيون بكل ما لديهم من كتب؟

ويقول "ادمون بينان" في كتابه "الرواقية والشك" مايلي:

"لكي نفهم زينون يجب أن نعرف الحكمة الفينيقية"

وفي سيرة زينون التي كتبها الفيلسوف اليوناني "ديوجين لايرتوس" وردت شهادة "لأرسطو" جاء فيها:

"ألم يكن "طاليس أبو الفلسفة، بشهادة "أرسطو" فينيقياً مثله وكم هي أقدم من أفلاطون

وأرسطو الحضارة الفينيقية- الكنعانية" حضارة صيدون مدينة آبائهما"

إنها شهادات لا تقبل الشك. فإلي ينبوع حضارتنا أيتها الأجيال الطالعة إلى دراسة "رواقية"

زينون.

١. هذا ولايسعنا في هذا المقال أن نشرح فلسفة زينون لا تساعها الكبير مكتفين بأعاده قول المفكر الانكليزي "ماهافي": "يجب أن يظهر جلياً أمام العالم، أن أعظم تراث عملي في الفلسفة لم يكن فخامة "افلاطون" ولا اتساع علوم "أرسطو"، بل ما نلمسه في مذهبي "زينون" و"ابيقور" العمليين. إن كل إنسان في أيامنا هو "رواقي" أو "أبيقوري" يتأرجح بين الاثنين"

٧- أبو لودور الدمشقي (١٢٥-٦٠) :

ونختم هذه الشروحات حول طليعة رواد الفكر السوريين بما يستحق أعظم مهندس معماري قديم وهو "أبو لودور الدمشقي". ولد في دمشق ودعى اسمه "أبو لودور" تيمناً باسم الإله السوري "نبو" المقدس باللغة الأرامية.

نبغ "أبو لودور" في هندسة العمارة منذ شبابه فعطف عليه "تراجان" ابن حاكم سوريا الروماني ولما أصبح: إمبراطوراً استدعاه إلى رومة وجعله مستشاراً له وقد حمل معه إلى روما الفن المعماري السوري المتفوق. ويقول "تاريخ كمبر يدج" رقم ١١ مايلي:

"كانت سوريا متقدمة على رومة في فن العمارة بل كانت بالنسبة لها النموذج الذي اتخذته. وأن سوريا تفوقت على رومة في عبقريتها المبدعة ومعارفها الفنية وفي مهارة عمالها. وأن "أبولودور" الدمشقي اقتبس تصميمات المباني التي أقامها في سفح "الكوريناليس" في رومة، من موطنه الأصلي"

ويقول "ليون هومو" في كتابه "العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية مايلي: "عند زوال السلوقيين، طغت على السطح من جديد ثقافة سوريا المحلية. وعندما حاولت رومة كبح جماح هذه الثقافة لم تفلح.

وفي القرن الثاني الميلادي، ظهرت من جديد الموجة الشرقية (السورية) في ميدان الفن".

أما الشاعر الروماني جوفينال فقال :

"إن نهر العاصي السوري أخذ يصب مياهه في نهر "التير" حاملاً معه فنونه وعاداته"
ويعني بذلك الفنون والعادات السورية.

إلى هنا نتوقف عن نشر ما قدمه لنا من تراث طلائع رواد الفكر السوري. ولا نضن
بأسماء من تبقى من المفكرين السوريين حتى يهتدي الجيل إليهم في مطالعاتهم أحياء لمجد
سوريا وعزها.

قائمة ببقية المفكرين الأوائل

أخذت هذه اللائحة من كتابات الأديب "نواف حردان":

- ١- "أقليد" ولد في صور سنة ٣٢٠ ق.م
- ٢- "ماغون" قرطاجي وضع كتاباً في ٢٨ جزءاً في العلوم الزراعية
- ٣- "برعوشا" ولد في بابل وكان كاهناً في هيكل مردوخ كان اسمه "بل آشور"
- ٤- "ابو لونيوس السوري" أمير الرواية ولد في صور.
- ٥- "أريسترخا القيرصي" ولد في قبرص كان يعتبر الناقد الأكبر في العالم الروماني
- ٦- "طيرانس عاقر" ١٩٢-١٥٧ ولد في قرطاجه أيام "هاني بعل"
- ٧- "كاليتو ماخو" ١٨٧-١١٠ ق.م قرطاجي وكان اسمه "اسدرو بعل"
- ٨- "ديوجين البابلي" ١٨٥-١٢٠ ولد على ضفة نهر دجلة.
- ٩- "بوصيرون" ١٢٣-٦٠ ق.م ولد في افاميه.
- ١٠- "اتانا دور الكنعاني" ١٥٨-٨٥ ق.م
- ١١- "انطيوخو عسقلان" ١٣٠-٦٨ ق.م
- ١٢- "فيلو ديمو" ٦٨ ق.م ولد في جدره في الأردن.
- ١٣- "مليگران الشاعر القرن الأول ق.م ولد في جدره في الأردن
- ١٤- "كاسيو دينس" ٨٢-١٠ ق.م فينيقي ولد في عوتين قرب قرطاجه
- ١٥- "مارينو السوري" أبو الجغرافية ٨٠-٢٠ ق.م
- ١٦- "نقولا الدمشقي" ٨٠-١٠ ق.م ولد في دمشق وكتب تاريخ الأحداث العالمية في ١٤٠ كتاباً.

- ١٧- "سيرو الكيم" ولد في إنطاكية ويلقب "بأمرير المسرحية" وله حكم ذهبية.
- ١٨- "ارحمتو الافامي" ولد في أفاميا وكان طبيباً.
- ١٩- "افراقو" ولد في صور وكان فيلسوفاً وخطيباً ٦٥-١١٥ بعد الميلاد
- ٢٠- "نيقو ماخو الجرشي" ولد في جرش ٧٠-١٣٥ ميلادية فيلسوف
- ٢١- "طاطيانو" ولد في اربيل من ولاية حلب رجل تاريخ وفلسفة ١١٠-١٨٠ ميلادية.
- ٢٢- "مكسيو السوري" ١١٠-١٨٠
- ٢٣- "غايو" يقال عنه أحد الفقهاء السوريين الخمسة ١٢٠-١٩٦ ميلادية.
- ٢٤- "لوقيان السميساطي" ولد في في سميساط على الفرات ناقد وساخر كبير
- ٢٥- "فيلون الجبيلي" فينيقي من مدينة "جبيل" ١٥٠-٢١٠ ميلادية مؤرخ كبير
- ٢٦- "بانيانو" ١٤٠-٢١٢ ولد في حمص وكان نسيباً إلى جوليا "دومنا" زوجة الامبراطور "سبشيمو" اشترك في وضع الحقوق الرومانية.
- ٢٧- "اولبيانو" ولد في صور ونبغ في علم الحقوق اشترك في وضع الحقوق الرومانية.
- وهناك أسماء أخرى يجدها القارئ العزيز في كتاب الأديب الكبير نواف حردان وعنوانه: "صانعو تراثنا الثقافي الحضاري"
- فإلى الجذور أيتها الأجيال الطالعة إلى تاريخ سوريا القديم إن فيه كل علم وفن وفلسفة إلى جدودنا الأقدمين الذين تبنتهم الأمم ونسبتهم سوريا.



موقف النصرانية من الدعوة الإسلامية من ٥٧٠ إلى ٦٥٦ ميلادية :

أولاً : انتشار النصرانية في قلب الجزيرة العربية

بعد انتشار النصرانية في بادية الشام شرقاً وغرباً، امتدَّ انتشارُها إلى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام. ومن المراجع الإسلامية الموثوقة مثل سيرة ابن هشام، اتضح أن أفراداً وجماعات من قبائل هزيم وعذره وجُزام وجهينة وبلي وبَهرا وطى وحنينه اعتنقوا النصرانية قبل الإسلام وأن البعض من هؤلاء لم يُسلم إلا بعد وفاة النبي محمد .

وأقرب هذه القبائل إلى المدينة هم بنو "هزيم" وكانوا فقراء وضعفاء أما بنو "عذره" فقد نزلوا وادي أضَم في شمالي الحجاز وقد عرفوا برقّة عواطفهم وطهارة نفوسهم. لقد جاء في كتاب الطبقات لابن سعد أن أمهات بعض الأنصار كنَّ من بني عذره وكانت منازل جهينة بين المدينة والعقبة وفي سيناء حتى الغرما. أما منازل "بلي" فكانت بين المدينة وتبوك. ومن نصارى "قضاعه" يَهرا الذين منازلهم بين "بلي" ومشارف الشام، كما تاخمت "لحم" حدود الشام. أما منازل بني "طي" و"حنينه" فكانت في قلب الجزيرة إلى شرقي "المدينة"

والأنصار في القرآن هم نصراء النبي بقوله: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه" (سورة التوبة ٩٩) والأنصار أيضاً في القرآن أصحاب عيسى استنصر بهم من اليهود. "فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال : "من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ونشهد بأننا مسلمون". إن لفظه مسلمين اتت قبل ظهور الدعوة المحمدية ومعناها: من استسلم إلى مشيئة الله.

ومن الحواريين كان بطرس ومعه بولص وهو من الأتباع وقد بعث إلى "رومية" و"اندراس" و"منّا" إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس "وتوماس" إلى أورشليم وهي "إيلياء" قرية بيت المقدس وابن "تكما" إلى "أفسوس" قرية "أنقية" أصحاب الكهف ويعقوب إلى أرض البربر ويهوذا (عن سيرة ابن هشام)

فيكون النصاري عند العرب انّذ، هم أنصار عيسى وأنصار أنصارهم كما يكون واحدهم نصرانياً. ومن هنا جاءت الآية: { لتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري }

فتكون النصرانية بالتالي دين النصارى. انقلبت اللفظة إلى مسيحيه بعد عدة قرون وتمر الأزمان وتبقى هذه الشعلة في النفوس. منها حنظلة الطائي ينعزل عن قومه ويبني ديراً بالقرب من الفرات وفيه يترهب ويموت.

وهناك قس بن ساعدة يتقفى القفار ويأنس بالوحوش والهوام. وكلهم يزهدون في الدنيا ويدعون إلى النظر في الكون والاعتبار بحوادثه.

وصول النصرانية إلى مكة :

من المتفق عليه لدى جميع المؤرخين أن بعض النصارى من الأحباش كانوا يأتون إلى مكة لقضاء حاجاتهم وعلاوة على ذلك كان أمجاد قريش من تبرموا بعبادة الأوثان أمثال: الشاعر أمية بن أبي الصلت الذي كان مكباً على قراءة الكتب ولبس المسوح والتعبد.

وكان ورقة بن نوفل الذي عرف الإنجيل ونقل بعضه إلى العربية. ومن القرشيين أربعة وهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحورث وزيد بن نفيل الذين كما يقال "خلصوا نجياً" أي استياسوا وقال بعضهم لبعض "تعلموا والله ما قومكم على شيء" (أي يعبدون الأوثان) لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم. ماحج تطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع" وأما ورقة بن نوفل فقد استحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها.

وأما ابن جحش فقد استحکم إلى الحبشة ثم تنصر ومات نصرانياً.

وكذلك ابن الحورث فقد لجأ إلى قيصر وتنصر. وابن "نفيل" لم يدخل في اليهودية ولا في النصرانية، ومع هذا أنه فارق دين قومه واعتزل الأوثان، وخلاصة القول أنه عند بدء هور النبي محمد كان التبشير بالنصرانية قد دق أبواب الكعبة كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

من أخبار النصرانية والنصارى في مكة قبل ظهور الإسلام أن حليلة السعدية أم النبي محمد بالرضاعة عادت بالنبي الطفل إلى مكة، علماً بأن محمد هو ابن عبد الله الذي توفي ، أن يولد محمد بثلاثة أشهر

وأما أمه آمنة فقد توفيت أيضاً بعد ولادته ببضعة أشهر فعهد بالطفل محمد إلى حليلة أم النبي بالرضاعة. وعندما أتت بالطفل إلى مكة رآه نفر من الأحباش رغبوا في أخذه إلى

مَلِكُهُمْ فِي الْحَبْشَةِ. غَيْرَ أَنَّ وَرَقَةَ بَنِ نُوْفَلٍ رَفَضَ طَلِبَهُمْ وَأَتَى بِالْوَلَدِ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَائِلاً لَهُ "هَذَا ابْنُكَ وَجَدْتَهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ (عَنْ ابْنِ هِشَامٍ فِي كِتَابِهِ السِّيَرَةِ).

محمد عند أبي طالب وراهب بحيره :

أَحَبُّ أَبُو طَالِبٍ بَنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُحَمَّدًا حَتَّى كَانَ يَقْدِمُهُ عَلَى أَبْنَائِهِ. وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَسْتَرَأْسُ قَوَافِلَ إِلَى الشَّامِ. وَفِي إِحْدَى الرِّحَالِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ بَلَغَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ أَبْدَى رَغْبَةً حَارَةً فِي مَصَاحِبَةِ عَمِّهِ. وَهَكَذَا تَمَّ وَلَمَّا وَصَلَتِ الْقَافِلَةُ إِلَى بَصْرَى نَزَلَ بِالقَرَبِ مِنْ صُومَعَةِ الرَّاهِبِ بَحِيرِهِ فَرَأَى بَحِيرَهُ مُحَمَّدًا كَمَا رَأَى غَمَامَةً تُظِلُّهُ. فَأَرْسَلَ إِلَى الرِّكْبِ يَقُولُ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا فَأَحْضَرُوا كُلَّكُمْ، كَبِيرُكُمْ وَصَغِيرُكُمْ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَتَخَلَّفَ مُحَمَّدٌ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ. فَأَصْرَّ الرَّاهِبُ عَلَى حُضُورِهِ فَحَضَرَ. رَاحَ بَحِيرُهُ يَلْحَظُهُ لِحَظًا شَدِيدًا وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ؛ حَتَّى إِذَا مَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرُهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ الرَّسُولُ فَوَافَقَ كَلَامَهُ مَا كَانَ عِنْدَ الرَّاهِبِ مِنْ صِفَاتِهِ. وَعِنْدَ ذَلِكَ نَظَرَ الرَّاهِبُ إِلَى ظَهْرِ الرَّسُولِ فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمُحْجَمِ. وَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ لَهُ: "أَرْجِعْ ابْنَ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِكَ وَاحْذَرْ عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ فَوَ اللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا". (عَنْ سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ).

خطباء النصارى :

لَمْ يَفِدْ أَبُو طَالِبٍ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْ رِحْلَتِهِ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ فِي مَكَّةَ وَمَعَهُ مُحَمَّدٌ. وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كَانَتْ تَفْدُ إِلَى مَكَّةَ الْخُطَبَاءُ وَأَصْحَابُ الْمَعْلَقَاتِ وَمِنْ بَيْنِهِمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا يَأْخُذُونَ عَنِ الْعَرَبِ وَتَثْنِيَتِهِمْ كَمَا كَانُوا يَحْدِثُونَهُمْ عَنِ الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَصْغِي إِلَى أَقْوَالِهِمْ وَيَرَى فِيهَا خَيْرًا مِنْ هَذِهِ الْوُثْنِيَّةِ الَّتِي غَرَّقَ فِيهَا أَهْلُهُ (عَنْ مُحَمَّدٍ حَسَنِينَ هَيْكَلٍ)

الراهب نسطور :

رَعَى مُحَمَّدٌ وَهُوَ صَغِيرٌ غَنَمَ أَهْلِهِ وَغَنَمَ أَهْلَ مَكَّةَ فَاشْتَدَّ تَعَلُّقُ أَبِي طَالِبٍ بِمُحَمَّدٍ وَرَغْبَ فِي أَنْ يَجْعَلَ لَهُ رِزْقًا أَوْسَعَ. وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَلْحَقَهُ بِالْقَوَافِلِ الَّتِي تُوْجَّهْهَا الْمَثْرِيَّةُ

خديجة إلى الشام بقصد التجارة. وكان محمد يومئذ في الخامسة والعشرين من عمره. وافقت خديجة على استخدام محمد فخرج مع ميسره غلامها، وانطلقت القافلة في طريق الصحراء إلى الشام، حيث تحدث مع رهبانها كما تحدث مع الراهب نسطور وسمع منه ولعله جادله.

محمد وأول الوحي :

تزوج محمد من خديجة ابنة عم ورقه بن نوفل وتيسر له التفكير والتأمل. وكان يلجأ في شهر رمضان إلى غار "حراء" للتأمل. وفيما هو في الغار جاءه ملاك وفي يده صحيفة وقال: اقرأ فقال محمد ماذا اقرأ : فقال الملاك: { اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" وتنبه محمد جذعاً ودخل على خديجة وقال: "زملوني" وقد اشتدت عليه الحمى فلنطلقت خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل أخبرته بما رأى محمد. فأطرق ورقة وكان نصرانياً كما ذكرنا وقال "قدوس، قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة فقولى له : فليثبت .

وخرج محمد للطواف بالكعبة فلقى ورقة. وإذ أخبره بما رأى قال ورقة "والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة" ولتَلَذِّينَ ولشُودِينَ ولتَخْرُجْنَ ولتَقَاتِلْنَ ولئن أنا أدركت ذلك اليوم، لأنصرنَّ الله نصرأ يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه (عن ابن هشام).

انطلاق الرسالة وانتشارها :

في الحبشة - كان النجاشي مسيحي لا يُظَلَم أحد عنده كما كان يقال. ونزلت سورة الضحى وعلم الله محمداً الصلاة وصلَّت خديجة معه واسلم علي ابن أبي طالب وأبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وسعد والزيبر. وتحدث الناس عن محمد وظنوا أن حديثه لن يزيد على حديث الرهبان والحكماء أمثال قس وأبيه وورقة وقال إنه النذير المبين فأعرضوا عنه وانصرفوا مستهزئين.

ومن هنا انتقل محمد إلى أهل مكة جميعهم وصعد على الصفا ونادى فنهض أبو لهب وقال: تبا لك. فجاءت الآية {تبت يدا أبي لهب} فحارب أشراف قريش محمداً واشتد الصراع المميت بينهم.

وفي أوار هذا الصراع نصح محمد قومه أن ينفرقوا في الأرض داعياً إياهم للذهاب إلى الحبشة المسيحية. وبالفعل خرج المسلمون إلى الحبشة في هجرتين وقد نقل جعفر ابن أبي طالب معه إلى النجاشي بعض ما جاء في سورة مريم حيث تقول: {فأشارت إليه، قال: "كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ قال أنا عبد الله، آتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً"

جبر النصراني :

وفي أثناء الهجرة إلى الحبشة أسلم عمر بن الخطاب وعادوا إلى مكة. فعادت قريش إلى مناهضة الدعوة المحمدية. وكان محمد يُكثر من الجلوس عند المروء حيث يلتقي غلاماً نصرانياً يقال أنه جبر عبد لابن الخضرمي. وكانوا يقولون : "والله ما يُعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام ابن الخضرمي فجاءت الآية :{ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر. لسان الذي يلحدون إليه. أعجمي وهذا لسان عربي مبين}

واستمر محمد في دعوته ويزداد أنصاره عدداً وحمية فوقعت الحروب المتواصلة بين أتباع محمد والقرشيين وبنتيجة هذه المعارك استطاع أنصار محمد التغلب على خصومهم فتم لمحمد النصر المبين بدخوله مكة والسيطرة عليها.

وفي أثناء احتدام المعارك وفد على محمد ستون ركباً من نصارى نجران بينهم العاقب أميرهم واسمه عبد المسيح والسيد اسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر ابن وائل وهو أسقفهم وجبرهم أو إمامهم وصاحب مدارسهم . ولما وصلوا المدينة كان محمد فيها فدخلوا عليه في مسجده حين كان يصلي صلاة العصر، وحينئذ حانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد نفسه فقال الرسول: "دعوه" فصلوا إلى المشرق ثم كلموا

الرسول. ولما كلمه الحبران قال لهما: "أسلما" قالوا: قد أسلمنا. قال إنكم لم تسلموا. قالوا بل قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما. يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير. قالوا: فمن أبوه يا محمد. فصمت عنهما ولم يجيبهما ونزلت الآية في سورة آل عمران كمايلي:

" الله لا إله إلا هو الحي القيوم... إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يقرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت ربي أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. إن مثل عيسى عند الله كمثّل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون : الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً. أياًمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون"

وعلى أثر ذلك ومن مآثر الدعوة المحمدية أن سلمان الفارسي وهو نصراني من بلاد فارس وكان ذكياً واسع الاطلاع وإذ التقاه محمد في يثرب أعتقه وجعله من صحبه وأخصائه. وحكاية سلمان الفارسي قبل التحاقه بمحمد هي كمايلي:

قال ابن اسحق أن سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان وكان أبي دهمان قريبته. وأمرني يوماً بالذهاب إلى ضيعته. فخرجت ومررت بكنيسة من كنائس النصارى. فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون. فدخلت فأعجبني صلاتهم وقلت والله خير من الدين الذي نحن عليه نعم قلت أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام. فرجعت إلى أبي فقال: ليس في هذا الدين خير. دينك ودين آبائك خير منه. فقلت له: كلا إنه لخير من ديننا. فجعل في رجلي قيداً وحبسني. فبعثت إلى النصارى وقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من تجار النصارى فخرجت معهم حتى قدمت الشام ولما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. فجننته وقلت

له إنني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك. أخدمك وأتعلم منك وأصلي معك. قال ادخل فدخلت معه. وكان رجلَ سوءٍ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكتنزاه لنفسه. فأبغضته بغضاً شديداً. وبعد وفاته جاؤوا برجل آخر وجعلوه مكانه.

وأحببت هذا الرجل حباً عظيماً فأقامت عنده زماناً .

ولما حضرته الوفاة سألته بمن توصي إلي من بعدك فألحقني برجل في نصيبين وأقامت عنده ولكن مقامي عنده لم يطل. وقبل وفاته ألحقني برجل في عمورية فأقامت عنده ثم نزل به أمر الله . وسبق وسألته إلى من توصي بي فقال : والله ما أعلمه أصبح أحدٌ مثل ما كنا عليه وهو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بيني "هرتين" بينهما نخل به علامات لا تخفى. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.

وبين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت فافعل" (عن سيرة ابن هشام)

والآن قد أتينا على الفصل الأول من هذا الحديث الذي يبين لنا أولى معالم نبوة محمد وكيف أن معشر النصاري استقبلوا هذه النبوة بحرارة وإيمان من الكعبة على لسان ورقة ابن نوفل إلى بصرى الشام على لسان الراهب بحيره ومن الموصل إلى نصيبين في بلاد الشام وإلى الحبشة. إنه تراث موثق وله دلالات عظيمة.

والآن ننتقل إلى فصل آخر نبين فيه نشاط التلاقي بين المحمدية والنصرانية .

تعاليم الإسلام الرئيسة وتلاقيها مع المسيحية :

يقول الإسلام :

- ١- هو الله لا إله إلا هو رب العالمين. خلق السماوات والأرض وما بينهما. وقد اختار أفراداً من خلقه واتصل بهم بالوحي ومن هؤلاء إبراهيم وموسى وعيسى
- ٢- على المسلم أن يقيم الصلاة ويأتي الزكاة وعليه أن يبتعد عن الفحشاء والمنكر.
- ٣- عليه أن يعذر ويعفو عند المقدرة . وأن يفي بالوعد ويصبر عند الشدائد .
- ٤- عليه أن يرد التحية بأحسن منها. وأن يستأنس قبل الدخول إلى بيوت الغير وأن يسلم

على أهلها.

٥- والمؤمنون أخوة أكرمهم عند الله أتقاهم وعليهم طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر منهم. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٦- على المؤمنين أن يؤمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل "أي الإنجيل"

٧- وعليهم أن يروا في الإنجيل والتوراة تصديقاً لما جاء في القرآن نفسه. { يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا وصدقاً لما معكم }

٨- وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فيه فأولئك هم الفاسقون }

هذه بعض من مبادئ الإسلام الجوهرية نراها بوضوح تتفق في معظمها مع المبادئ المسيحية وكأن الدينين دينا واحداً أتى كل منهما بشرائع تتلاءم مع البيئة الاجتماعية التي ظهر فيها، وكل منهما من أجل تحرير الإنسان وصفاء روحه. غير أنه وللأسف الشديد أن رجال الدين من الطرفين امتدت سلطتهم على الرعاية فسيسوا الدين واجتهدوا ما طاب لهم وفسروا التعاليم اسوأ تفسير فخلقوا بذلك التعصب الطائفي معرضين عن المآثر التي رافقت الدعوتين قبل ظهور كل منهما وبعده مما أدى إلى العداوات الطائفية دون روية أو حكمه.

الأقباط في مصر :

يفخر الأقباط في مصر بأربعة تيارات تاريخية ثقافية كمايلي :

١- قدوم العائلة المقدسة إلى القطر المصري هرباً من اضطهاد ملك اليهود "صيرودوت اغريبا " الذي كان يسعى إلى قتل الطفل يسوع .

٢- تأسيس كنيسة الإسكندرية على يد الرسول مرقس

٣- النشاط الفكري في مدرسة الإسكندرية

٤- تأسيس الرهبنة التي وجدت في أرض مصر مهداً لنشأتها وترعرعها والعصر القبطي بالذات يقسم على النحو التالي :

١- عصر سيادة الثقافة الإغريقية ويمتد من سنة ٣٠ ق.م أي من الفتح الروماني حتى عام ٣١١ أي عام صدور مرسوم التسامح الديني الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين فأصبحت بعدئذ الديانة المسيحية إحدى الديانات المعترف بها رسمياً في الدولة الرومانية.

٢- مرحلة استقرار المسيحية وسيادة القبطية وهي تمتد حتى أوائل القرن الثامن أي منذ سنة ٧٠٦م.

٣- مرحلة سيادة الثقافة العربية وتمتد من أوائل القرن الثامن حتى الآن وأخذت الثقافة القبطية خلال هذه المرحلة، تتلاشى تدريجياً منصهرة في الثقافة العربية لتحل اللغة العربية محل اللغة القبطية في جميع المجالات.

كما أن قسماً كبيراً من الأقباط أسلم بعد أن انتشرت مسألة التعريب وترسخت، مقترنة بحرمة التأسلم.

في البلاد العربية :

عندما تذكر المصادر القديمة للبلاد العربية فإنها تقصد الديار المحدودة بالبحر الأحمر وخليج اليمن وبحر عمان وخليجه وفي الشمال صحراء سوريا ولم تكن تتجاوز الحجاز جنوباً.

وهكذا وبعد انتصار العرب المسلمين في اليرموك سنة ٦٣٦ وقعت منطقة الديار العربية في أيدي المسلمين وكانت بصرى أول مدينة يونانية رومانية تسلم أمرها للفاتحين سنة ٦٣٤ وقد حاول النظام الكنسي أن ينسجم مع الحالة الجديدة بحيث لم تقطع حركة تشييد الكنائس سنة ٦٣٣ و٦٤١ و٦٥٢ ولكن كل كنسية كان يرئسها أسقف لا يقل عمره عن الخمسين سنة وكانت السلطة كلها بيده. وللأسقف معاونون هم الشماسية يساعده في التعمير ومراعاة النظام في الكنيسة ويزرعون الصدقات ويزورون المرضى وكل ذلك تحت إشراف الأسقف وبرعاية نظام الحكم القائم. ومن الرهبان الشهيرين في التاريخ الإسلامي كان الراهب بحيرة في بصرى وسطيح في خرائب النبطية ونسطور.

أما فرسان وأشرف العرب فمنهم: أبو سفيان بن حرب وأمّية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت والرهبان السوريون .

والآن، لابدّ من عود على بدء وشرح موقف رهبان بلاد الشام من الدعوة النبوية الإسلامية، فمن مكة حيث يقيم أسقف مكة ورقه بن نوفل إلى رهبان بصرى ومنهم بحيره وسطيح ونسطور كان حسان بن ثابت الذي أصبح فيما بعد شاعر الرسول غارقاً في تأملاته في محلة "البيعة" في بصرى وقد أسكرته صلاة المصلين والأنغام الكنائسيه، وإذ هو على هذه الحالة يطل عليه أبو سفيان بن حرب وبتفرس في ملامحه ويقول له: أي حافز حفرك إلى هذه النواحي؟ قال: أتيتها في تجارة مع أمية بن أبي الصلت، شاعر الطائف فنحن في زمن كثرت فيه الأحاديث عن ظهور نبي كريم عند العرب. فقال: ومن لقنك هذا الحديث؟ أجابه: سمعته في اللقاء وكان قس بن ساعدة خطيب العرب يدعو الناس إلى طاعته. ثم عدت وسمعت نفس الحديث من بحيره الراهب. فقال أبو سفيان: أتحسب زمن هذه النبوة بعيداً؟ فأجاب كلا. ولقد أمنت بالنبي قبل بعثه. وما هي إلا برهة وجيزة حتى لاح لهما طيف متلحف برداء أسود يقترب منهما بخطى واسعة وإذ به أمية بن أبي الصلت.

بعد أن اجتمع الفرسان الثلاثة تذكروا في زيارة الراهب بحيره وكان ذلك بناء على دعوته لهم. غير أنهم عدلوا عن ذلك ودخلوا أسواق دمشق.

في سنة ٥٨١ استأنف أبو سفيان بن حرب سفره إلى الشام ومعه في القافلة من صحابته أمية بن أبي الصلت شاعر الطائف الذي كان يلتمس في رحلته إلى الشام الاجتماع إلى بعض أعلام النصرانية.

وهكذا تمّ لهم الوصول إلى بصرى حيث أدت لهم التحية مواكب فرسان غسان. وقضى ليلته سيد بني أمية في قصر "صرح الغدير" وعلى مقربة منه أمية بن أبي الصلت. وفي الصباح الثاني بكر أمية في نهوضه وإذ به عن كئيب من الراهب بحيره نفسه فقال أمية: لقد تلاقينا في اللقاء أكثر من مرة واحدة. كما تلاقينا في صيف السنة الدائرة هنا في قصر "جفنة" وفي المرة الأولى كشفت لي عن بعث نبي في العرب فهمس الراهب بقوله: بلى، بلى. وفي المرة الثانية قلت لي إن هذا النبي يوشك أن يطل. فأجاب بحيره متحمساً: نعم، نعم فقال أمية: إذن فأني حديث جديد تريد أن تكشف لي عنه في هذه المرة الثانية؟

ففتح الراهب عينيه وكأنه قد أفاق من حلمه فإذا ذهنه يتلألأ ثم تقدم من أمية قائلاً: "انظر من هذه الشرفة إلى الصحراء. حذق طويلاً إلى هذا الرمل المنبسط الذي تحمله إلينا بادية العرب. هنالك في هذا الرمل الذي تعصف به شتى الرياح تسير فيه قافلة مطمئنة. وفي هذه القافلة تجارة إلى بصرى.

نعم حذق طويلاً في هذا الرمل المنبسط وانظر إلى ناحية هذه القافلة التي تسير في أرض لا ينبت فيها الزهر والآس وإذا نظرت إلى هذه القافلة وتبينت ملامح أفرادها بدا لك صبي كمقد الجمان في وميضه وإشراقه. ولا لك في هذا الصبي المجيد الناموس الذي لاح لموسى وعيسى. ولقد ولد النبي في أشرف القبائل بل من أكرم البيوت"

لم ينبس الشاعر ببنت شفة ولكنه هم بالخروج إلى الدير خاصة وأنه لم يرَ رمالا ولا قافلة. فاستوقفه الراهب بعد تأملاته تلك وقال: فيم إجمالك؟ أيرمضك كثيراً أن ينبت في الحجاز هذا النبت المتأرجح؟ أن في العراق الفرس وفي الشام الروم وأنتم بين هؤلاء وأولئك في صحراء لا تدرُّ لبناً ولا تنبت حباً.

واعجبا هذه المراعي الفينانة والينابيع الهتاء كلها لكم ثم بعد هذا كله تأتون بالماء فتشربونه أسناً غير سائغ؟ قال بحيرة هذا كله وراح يصلي.

وأما أمية بن أبي الصلت فقد التحق بأبي سفيان وقصَّ عليه ما دار بينه وبين الراهب بحيرة : فقال أبو سفيان : إني لأعجب من هذا الحديث الذي هو على شاكلة أحاديث ورقة بن نوفل في سوق عكاظ.

وهكذا وبعد هذا اللقاء التاريخي عاد أمية وأبو سفيان ليلتحقا بحسان بن ثابت في قصر المنذر الغساني الذي كان يغصُّ بالزائرين من أشراف البلقاء وحوران وتدمر والشام

الفرسان الثلاثة عند الراهب سطيح :

بناء على نصيحة الراهب بحيره واستكمالاً لما أفاض به إليهم عن نبوة محمد توجه الفرسان الثلاثة للاجتماع بالراهب سطيح القائم فوق سفوح الجبال وفي أطلال النبطية.

وبعد الكثير من المشقات وهدى الذاهبين إليه طلع عليهم الراهب سطيح من مغارة ويحمله رجلان حتى دكة عالية: وما أن بدا للجموع حتى همس بعضهم قائلاً: ما أبشع منظره وكان سطيح يُدرج كما يُدرج الثوب، لا عظم فيه إلا الجمجمة وكان وجهه في صدره وكأن ليس له رأس و لا عنق وكان سطيح من الكهان العرافين ينزعون إليه في تعرف الحوادث ويتتافرون إليه في الخصومات .

وانبرى " شن " صديق الراهب سطيح في تقديم صديقه بلهجة بارعة فخمة قال فيه أبو سفيان: "أنه أخطب العرب بعد قس بن ساعدة.

ثم قدم سطيحاً ليقول خطبته جاء فيها :

" أيها الرعاة في الجبال الجرداء، نهوضاً من هذا الرماد الذي يغطي العيون والنفوس والذي يحجب عنكم آفاق الحياة المرحاة الوداعة افتحوا عيونكم لهذا الفجر الذي تمتد ظلاله من بادية الحجاز إلى بادية الشام، فإنكم ستبصرون في تورده ولَمَعَانِهِ وزخرفه طليعة زحف جديد إلى سهول فتانة وحقول فينانة ومدن حالية بالنعيم وأمصار لا تغشاها الغيوم، وستكونون أصحاب هذا الزحف الميمون، إذ توغلون في الأرض ايغالاً وترثون هذا الذي احتوته الغبراء والدماء .

بلى وستكونون أحراراً لهذا الهواء المنسجم العذب. وستحفل بيوتكم بالأنوار التي لا تخبو! وسيكون لكم في منتأى من الأرض راية خفاقة وظل ممدود.

أيها الرعاة، انظروا إلى هذه الصحراء المتطامنة إلى حرها وهجيرها العائشة في صمت جبالها الغارقة في سكون أفقها أنها ستتحسر عن روح سامية تمشي بكم إلى شتى الآفاق فيكون لكم في البر والبحر الملك الضخم الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى والفضيلة التي تغسل حذاء النفس وسيمشي بكم هذا الروح الأسمى إلى دين جديد تعرفون به رباً محسناً جواداً عادلاً كريماً ينقذكم من جحيم هذا البؤس الذي تصطلون بحرهِ. ثم نُظِّل بكم على أفق يَمُور بالطمأنينة والسكون والراحة وكذلك سيشق بكم العقل والفكر والذكاء الملتصق حتى إذا بدت لكم هذه الطبيعية التي ترون اصطنعت العقل والذكاء في فهم مقاصدها وحُذِّق أغراضها وسيرفع شأن الأسرة ويقوم الحب مقام البغض، وينسجم الناس فلا بغض ولا ثأر . ستقولون من أين جاء سطيح بكل هذا وستسألون أين هو ذلك الروح

وستقولون أيضاً: نحن فقراء وأرضنا لا تثبت حباً ولا يغشاها ظل رخيٍّ وسماؤنا عريضة في شحها وإملاقها فكيف تثبت هذه الزهرة المحسنة في هذه الأرض البخيلة الضئيلة؟

افتحوا عيونكم حدقوا إلى الصحراء إنه يمشي في موكب فخم من الجلال والرونق. بلى! إنه يمشي فوق رؤوس العصور البعيدة ليُطل من وراء شمسها الغاربة على فجر العصور الجديدة التي سيخلقها بيده خلفاً. يُخيل إلي أنني أراه... بلى! يُخيل إلي أنني أراه هو فتان كهذه الشمس التي تسطع على هذه النواحي، وبهي كهذا الفضاء المتورد المصحّي، وعظيم رائع كالبحار ووديع كالزهرة الضاحكة في أحضان الخمائل.

وهذه الأصنام، هذه الأصنام التي خُيل إليكم في الماضي أنها تحمي أحياءكم وأمواتكم، وأنها تمنحكم الصحة والشباب والحب والمرح، ستنهار تحت قدميه لأنها تعيش بينكم في غير فضيلة، ولأنها لا تملك شيئاً من الصحة والشباب والحب والحياة .

وستمشون تحت لوائه إلى عبادة موثقة تكفل لكم الصحة والحياة وتفتح أمامكم أفقاً جديداً منعتكم هذه الصحراء المشبوبة أن تروه".

لم يقل سطّيح أكثر من ذلك على سامع أقوام متعددي الجنسيات حتى انهال هؤلاء الناس عليه بالسؤال. قال بعضهم:

- أين نجد هذا النبي الذي حدثتنا عنه؟

فصاح سطّيح :

- انطلقوا إلى مكة فإن فجره قد انبثق في تلالها وجبالها.

وسأل سائل :

- فمن هذا النبي؟ فقال :

- من ولد غالب بن نهر بن ملك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

فقال له قائل : وهل للدهر آخر يا سطّيح ؟ فأجاب :

- نعم! يوم يُجمع الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون.

وسأل سائل :

- أحق ما تقوله يا سطيح؟ أجاب

- نعم والشفق والغسق والعلق إذا اتسق أن ما أخبرتكم بح لَحَق.

وبعد ذلك تفرق القوم وفي نفوسهم روعة ما سمعوا وكل واحد يتحدث عما انبأ به سطيح.

وهكذا صدق ورقة بن نوفل بما انبأ به في مكة وصدق سطيح في أطلال النبطية بما أجاد في وصفه عن بعث محمد نبياً يجمع شمل العرب ويهديهم الصراط المستقيم.

سيطرة النبي محمد على الحجاز والجزيرة والانتصار على الفرس والرومان في سوريا :

امتدت دعوة محمد إلى جميع أطراف الجزيرة وبلاد الشام فتحركت خصوصيات زعماء القبائل وبدأ الصراع بين أتباع محمد وهؤلاء الزعماء، وكان النصر إلى النبي محمد وأتباعه حتى أتى على جميع النزعات ورضخت له. وبعد ذلك ما كان إلا أن وجه جيوش العرب إلى مشارف الشام. ومن هناك أُنذر ملك فارس وقيصر الروم بأن يدفعوا الجزية وإلا يواجههم بالحرب.

ولما رفضوا الإنذار وقعت الواقعة بين جيوشهم وجيوش العرب فتم للعرب النصر على روما وفارس وأصبحت بلاد الشام والعراق مفتوحة أمامهم فتم دخولها بلا خسائر وعلى أساس المصالحة بينهم وبين نصارى هذه البلاد. في جوٍّ من التحرر والانتصار إلى الحضارة العربية.

استمرار النصارى في دعم الحضارة العربية :

واستمر النصارى في دعم الحضارة العربية وكان منهم أعلام كثر وهم :

١- الشعراء وعددهم خمسة وعشرون، مؤكدة مسيحيتهم وبعضهم ومرجحة للبعض الآخر .

٢- الشعراء المخضرمون وعددهم أربعة عشر

٣- شعراء الدولة الأموية وعددهم أحد عشر

٤- شعراء الدولة العباسية وعددهم اثنان وثلاثون

أطباء وصيادلة وعددهم ثمانية وتسعون. وبعضهم علاوة عن الطب كتبوا في الفلسفة والتاريخ والدين والخلق والآداب المسيحية والهندسية وعلم النفس والفلك.

ويستمر المسيحيون اليوم بالانتصار إلى الحضارة العربية في جميع المجالات .

وصول الإسلام إلى أبرشيات أنطاكية

فتح دمشق وأبرشيات أنطاكية :

لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة بعد وفاة النبي، عقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال : يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص، وكل أمير يرأس سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل، بينما كان خالد بن الوليد في العراق بعد أن هزم فارس وقد ساعدته في هذه الهزيمة قبائل بني شيبان المنتمون إلى بني تغلب المسيحيون .

هاجم المسلمون سرجيوس في وادي عربة شرق بحر الميت وغربه وتغلبوا عليه.

ولما وصل عمرو بن العاص إلى حدود فلسطين كان لا بد له من الاستعانة بخالد بن الوليد الذي التحق به فوراً. وبدأت تسقط صلحاً أكثر مواقع الروم الواحد تلو الآخر حتى وصلت جيوش العرب إلى دمشق. فحاصروها ستة أشهر. وفي هذه الأثناء توفي أبو بكر سنة ٦٣٤ وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب. وقد انتهى حصار دمشق بفتح سور المدينة أمام خالد بن الوليد بالتفاهم مع أسقف المدينة وكان ذلك بعد أن كتب خالد بن الوليد عهداً على نفسه هذا نصه: "باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها لقد أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم. ولا يسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله (صلعم) والخلفاء والمؤمنين. لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية".

وعند ذلك فتح باب شرقي إلى خالد بن الوليد وباب الجابية إلى عبيده. وبعد سقوط دمشق بدأت المدن السورية تسقط صلحاً في أيدي المسلمين على غرار ما حدث في

دمشق، والمسيحيون كانوا مطمئنين إلى الدعوة الإسلامية ساعدهم في ذلك ما سبق وسمعه من الرهبان أمثال ورقة بن نوفل في مكة وكل من بحيرة ونسطور وسطيح في حوران .

ولقد أيد هذا التعاون الإسلامي المسيحي الأستاذ نجيب الريس في مقالة مصوباً المفاهيم المغلوطة تحت عنوان " ارتوذكسية القومية العربية نشرت في مجلة الناقد يقول فيها: "هناك حدثان تعلمتهما في المدرسة وهما أنه كان للنصرانية الأرثوذكسية يومان أگران في تاريخ العرب القومي. يوم في الشام ويوم في العراق . أما في الشام فقد كان حين رفض النصارى العرب أن يحاربوا في صفوف الجيش الروماني وانضم كثيرون منهم إلى صفوف العرب المسلمين وقاتلوا جنود قيصر. وأما اليوم الثاني ففي العراق حينما انضم المتتبي بن حارثة على رأس قبائل بني شيبان إلى جيش سعد بن أبي وقاص في فتح بلاد العجم وفي قتال كسرى.."

وفي موقع آخر من مقالته يقول الأستاذ الريس: "إن النصارى العرب ليسوا بحاجة إلى شهادة لا في الوطنية ولا في العروبة من قبل كاتب صحافي مسلم مثلي، ولو كان مستقيم الرأي، ولا من أمثالي، بل لعل التذكير بما قاله عبد الرحمن الكواكبي الحلبي العربي المسلم وأحد رواد عصر النهضة العربية في القرن الماضي، تلك النهضة التي أضعاها اليوم، ينفع المؤمنين. فيقول الكواكبي في ختام كتابه "طبائع الاستبداد" مايلي: "أيها العرب المسلمون أعلموا أن الاستبداد أمن أشد المظالم فاخلعوه إن كنتم مؤمنين وأنتم أيها العرب غير المسلمين تناسوا ضغائنكم أنتم الأولون الأكثر تنويراً وثقافة.

وعليكم أن تجدوا الوسيلة لتوحيد الصفوف فلنتحد ولنصرخ قائلين لتحي الأمة ليحيا الوطن ولنعش أحراراً كرماء.

وقد استجاب إلى ندائه الزعيم أنطون سعاده بإعلانه: "أن كل سوري هو مسلم لرب العالمين. منا من أسلم لله بالإنجيل ومنا من أسلم لله بالقرآن ومنا من أسلم لله بالحكمة وليس لنا من عدو يحاربنا في ديننا ووطننا غير اليهود".

هذا ما كنا عليه ولا نزال فإلى ينبوع الدعوة المحمدية والمسيحية نستقي منهما شعلة
الإيمان لخير السوريين العرب والعرب أجمعين ولخير الإنسانية قاطبة.



من التراث الحضاري السوري
أمثال وحكم ونواهي وأوامر ونصائح حكيمة
كنعاني وسومري وأكادي

الوحدة الحضارية في سوريا الطبيعية في الأمثال

والنصائح والإرشادات في مهد السومرية :

ما من أمة إلا وسجلت حضارتها عبر السياق المتحرك في الزمن في مجالات عديدة من إبداعات مادية وفكرية وأخلاقية واجتماعية، وعلى قدر نموّ هذه الإبداعات أتت الأمثال والإرشادات دليلاً عليها وعلى ارتفاع الأمة في سلم الحضارة.

ولقد امتاز السوري القديم بنظرفته للكون والحياة ميزة خاصة بعد أن امتزجت الأقوام بعضها مع بعض سواء من سكان أصليين أو ممن نزحوا إلى سوريا من الجزيرة العربية من اكاديين وآشوريين وكلدان وكنعانيين وارانين وغيرهم، وهذا المزيج السلالي المميز أنشأ الشعب السوري الذي هو جزء مميز من شعوب العالم العربي.

والشعب السوري الذي بدأ تاريخه في مطلع الألف العاشر قبل الميلاد امتاز بمراقبة سلوك الإنسان فحاك حوله العديد من الأساطير والحكايات والأمثال والإرشادات.

فالأمثال والإرشادات التي وصلت إلينا منذ العهد السومري والاكادي أي منذ الألف الثالث قبل الميلاد إنها ثمرة تأملات واختبارات إنسانية موعلة في القدم لم تصل إلينا إلا بعد اكتشاف الكتابة وتدوينها فهي تعود حتماً إلى آلاف السنين قبل كتابتها حتى أصبحت تعتبر حقائق ثابتة جاءت بصيغة أمثال وحكم.

إننا في هذا المقال نستعرض ما تداوله السومريون والأكاديون والكنعانيون الذين غطوا مع غيرهم كامل رقعة سوريا الطبيعية.

بعد اندماجهم وانصهارهم معاً في متحد مميز. إليكم ما جاء على لسانهم وكله مدون على لوحات فخارية اكتشفها علماء الأركيولوجية.

في العهد السومري في وادي الرافدين :

اشتهر العهد السومري بالأمثال التي درجت على ألسنتهم كمايلي :

١- "لقد ولدت يوم نحس" إنه لسان حال من يعزو إخفاقة إلى القضاء والقدر" فيظل يشكو دائماً.

- ٢- "يكون حمل بلا جماع"
"وهل تحدث سمنة بلا أكل"
وهو قول الذين يحبون دائماً التأويل والشرح.
- ٣- وقولهم في الأفراد الفاشلين:
"لو وضعت في الماء لفسد الماء"
ولو وضعت في البستان لبدأت أثماره تفسد"
- ٤- وقيل فيما يساور الناس من قلق بسبب الأحوال الاقتصادية:
"كتب علينا الموت فلننفق"
"وما دمنّا نعيش عمراً طويلاً فلنقتصد"
وكان في بلاد سومر فقراء يعيشون مع همومهم ومتاعبهم فقالوا:
٥- "خير للفقير أن يموت من أن يعيش"
"فإذا حصل على الخبز عُدّ الملح "
"وإذا كان لديه الملح عُدّ الخبز"
"وإذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل"
"وإذا كان عنده الحمل فيكون قد فقد اللحم"
- ٦- ويقول السومري :
" يقضم الفقير فضته "
ومن قولهم :
- "يقترض الفقير فتركبه الهموم، وهو واقع حال من يتعامل مع المرابين.
- ٧- ويقولون إذ يتأكدون من أن إخفاق الفقير لا يعود إليه بل إلى قُرْناء السوء :

"إنني جواد أصيل ولكني رُبطت مع بغل "

٨- ويقولون في الحلة الفاخرة :

" كل فرد يميل إلى الشخص الذي يلبس الحلة الفاخرة " وهذا المثل أصبح عالمياً.
يقولون في الغرب : إنهم يستقبلونك على قدر جمال هندامك.

٩- والزواج عند السومريين لم يكن بالعبء الخفيف فيقولون:

"من لم يُعل زوجة أو طفلاً فقد سلّم أنفه من حمل المقود"

١٠- وقد يُهمل السومري من قبل عائلته وفق ما يتراءى له فيقول:

" زوجتي خرجت إلى المعبد وذهبت أُمي عند النهر وأنا هنا أموت جوعاً؟

١١- ويقولون في المرأة القلقة البرمه :

"المرأة البرمة القلقة في البيت تُضيف عذاباً إلى عذاب"

١٢- والرجل السومري قد يندم على زواجه فيقولون في الرجل:

"من أجل لذته الزواج وإذا ما تدبر الأمر: الطلاق"

١٣- ومن الملاحظ أن العريس والعروس قد يدخلان الحياة الزوجية في مزاجين

مختلفين:

" القلب الفرح- العروس "

" القلب المغتم -العريس "

١٤- لم يتناس السومري أي شيء يتعلق بالحماة فيبدو أنها كانت أقل وطأة مما هي عليه في العصور الحديثة. وأما عن الكنة فكانت ذات شهرة لا تُحسد عليها فيقولون:

" محل التجارة في الصحراء هي حياة الرجل "

" والنعل عين الرجل "

" والزوجة مستقبل الرجل "

"والابنة ملجأ الرجل "

" أما الكنة فشيطان الرجل "

١٥- وقولهم في الحث على العمل والجد والتضامن:

"يدٌ إلى يدٍ يمكنها أن تُتمَّ بناء بيت المرء"

"ومعدة إلى معدة تخرب بيت المرء"

١٦- وقولهم في تقليد الغير:

"من شيدٌ كما يشيد السيد عاش كالعبد"

"ومن بنى كما يبني العبد عاش كالسيد"

١٧- وقولهم في قوة الدولة :

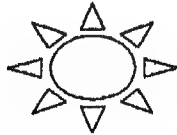
" الدولة الضعيفة في العدة والسلاح لا يمكن أن تطرد العدو من أبوابها "

" والمدينة التي ليس فيها كلاب تعبت بكرومها الثعالب "

١٨- وعن الحرب فينهون كمايلي :

" تذهب وتستحوذ على أرض العدو ويأتي العدو فيأخذ أرضك "

هذا ما أعطاه السومريون من أمثال تدخل كلها ضمن إطار الحكمة. علماً بأن لهم كتابات عديدة تتعلق بالتهذيب والإرشاد والوصايا والنصائح والمناظرات.



من التراث السوري

أوامر ونواهي كنعانية

تجاوباً مع ما جاء في مقال الأستاذ حسين حموي حول "استنفار وتعبئة كل القوى والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي لمواجهة الانهيارات والتصدعات التي تفتت عضد الأمة..." أقول إننا يجب أن نبدأ في تنفيذ هذا المنهاج بتوعية الفرد بدءاً من تعريفه بأصالته أمته على أساس تراثها المجيد الذي أعطى العالم كل علم وفن وفلسفة. ومتى برزت هذه الأصالة في عقله وضميره يصبح مواطناً صحيحاً يعمل لخير أمته فيكون حلقة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل. وأما إذا بقي هارباً من المسؤولية فإنه يكون عالة على أمته دون إرادة يعمل لمصلحة الغير وبالأخص لمصلحة أعداء أمته. فلننهض بالفرد بدءاً من تعريفه إلى هويته الحضارية علناً نستطيع أن نوظف فيه حب تراثه والدفاع عن أمته.

انطلاقاً من هذا المبدأ نقدم إلى القارئ فصولاً عن التراث الذي قال به الأقدمون سعيّاً إلى وصل الماضي بالحاضر تطلعاً إلى مستقبل أفضل.

يقول حكماء كنعان في بلاد الشام منذ أكثر من خمسة آلاف سنة مايلي:

١- يجب أن نوجه صلواتنا إلى الآلهة الرحيمين. أنهم هم الذين منحوا المدن للوافدين من الصحراء والخبز إنتاج الحقول والخمر الناتج من العنب. فهل يمكن أن يبدأوا الآن بحكم يسوده السلام هم الذين يمكنهم أن يكونوا طيبين أو خبيثاء؟

٢- الرجل الذي بإرادته لم ينجب يجب أن يموت مُهملًا وبعيداً عن ملته. يجب أن يرحم ويُعطى بالحجارة كما تُعطى بالحجارة جذوع الكرمة.

وعلى العكس من ذلك فإن الآلهة تشرف على مصالح بقية الرجال وتشدُّ بأزرهم كما تُعصد الكرمة. فيجب تجنب معشر الخبيثاء كما نجنب الكرمة من الحجارة لنغرس كرمة جديدة .

٣- في كل شهر يجب أن نقدم الذبائح حتى تصغي إلينا الآلهة الرحيمين.

٤- من أجل أن تكون أحكام الآلهة قرارات رحمة وسعادة، وحتى يقدموا مساعداتهم، يجب أن يقدم إليهم جدي وحليب وقشدة.

٥- عند رفع حوض الذبيحة فليكن ذلك لمجد الآلهة.

٦- الرجل الذي يتجه تلقائياً إلى الإله الرحيم يكون محاطاً بالعون الإلهي وبأنفاس الآلهة الرحيمة.

٧- يجب أن توجه الابتهالات إلى الآلهة الرحيمين الذين يحددون معيار الزمن ويفرقون بين اليوم والآخر والجيد من الرديء أن كل جرم يرتكبه الإنسان يعاقب عليه. الآلهة تحدد نهاية العز لمن يغادرون بيوتهم وعلى عكس ذلك فإنها تمنح الحماية لمن يخضعون ويتحملون التجارب برباطة جأش.

٨- قبل القيام برحلة طويلة أو بالإبحار على الإنسان أن يقوم بواجباته الدينية ويدفع الضرائب المترتبة عليه نحو الآلهة.

٩- يجب أن يمدح الإله الذي يمنح الحياة إلى الشعب بكامله، إنه بإرادة الإله "ايل" وبقدرة يده، يتكاثر الشعب ليصبح واسعاً كالبحر. إن يد الإله "ايل" قديرة وهي القوة بذاتها.

١٠- الإله "ايل" يتقبل الذبائح المقدمة إليه أمام حوض المذبح إنه يتقبل القرابين المقدمة باسمه في المعبد .

١١- الإله ينقض على الخبيث ليعاقبه. ويرفع يده عن الصالح والمستقيم. إنه هو الذي يجعل السماء تمطر ويأسف إذا بقيت محفوظة في الغيوم.

١٢- إن نساء كنعان أشبه ما تكون بالآلهة لأنهن جميلات وعالمات. إنهن يعرفن كيف يحبين من سيموت. ولكن حذار من الاقتراب منهن بأفكار سيئة. يحب السيطرة على الانفعال والابتعاد عن زوجة الغير. ومن المعروف أن الحرمان يحدث الاضطراب ويجعل الإنسان حاراً كالنار التي تجفف الرقيق.

فيجب أن يبدو عفيفاً تجاه النساء.

لأن الزوجة تشبه زوجة الإله. إنها الشاهد على عجائبه أن بيتها مقدس كالمعبد. إنه مكان العجائب المقدسة وهي نفسها مثل بيت الإله.

الحكمة على شفاه النساء. ويجب أن نصلي إلى الرب حتى تبقى شفاههن حُلوة كالرمل وتصبح الينبوع الذي تخرج منه الأقوال الحكيمة التي تقود إلى الرخاء.

١٣- عندما نعانق الزوجة فلنحتضنها بشدة حتى تجعل تحت وطأة "حرارة الحرارة" وعندئذ يجب أن نصلي إلى الله كي يمنح الزوجة الحكمة المرجوة وأن تضع إلى الوجود "أمل الأزهار" وديعتها. يجب الامتناع عن مشاجرة المرأة الحامل. لأن هذا العمل يؤدي إلى نهاية العز. وإلى "ألم الآلام". فيجب الانتظار بصبر ساعة الولادة وإفهام الرجل العنيف الذي يفخر بجراته أن الآلهة وحدها هي التي تتضح "أمل الأزهار"

الآلهة تخلق كما نشتهي وهي التي تحدد جنس الولد كما تحدد يوم ولادته.

إن الصلوات للآلهة يجب أن تصعد من الصدر وليس فقط من الشفاه. وبهذا تمنح الآلهة الحكمة إلى الزوجة ولذلك عندما نتوجه بالدعاء إلى الأرض والسماء فبكل حمية يجب أن تتلى الصلاة. إن من يتلوا الصلاة من فمه فقط، دون إيمان حقيقي، تغلق السموات في وجهه.

١٤- يجب أن تخشى يوم الولادة. كما يجب أن يهرب الذين أخافوا المرأة الحامل. لأنه أن عوملت الزوجة معاملة سيئة أثناء حملها فيمكن أن تضع في الشهر السابع أو أن تتأخر عن موعد وضعها. ومن أدرك أعماله السيئة عليه ألا يعود إلى بيته لأنه لم يعد أهلاً له. ويجب إن يطرد إلى الصحراء حيث يمكث فوق الصخور أو على الأشجار إلى أن يشفى من حقه أو لمدة سبع سنوات. وإن وافته المنية أثناء ذلك فقد تشهد عليه الآلهة لأنها هي التي تكون طرده من بيته وأرسلته إلى الصحراء.

والشعب الذي لا ينجب هو شعب فارغ كالرجل الذي يطرد خارج البيت. وعلى عكس ذلك فإن الأبواب تفتح لمن ينجب.

١٥- ولكن يجب الإشفاق على الرجل الذي لا ينجب دون إرادته. وفي كل مساء يجب تقديم كمية من الخبز والنبيد إلى الفقراء المساكين الخالين من بذور الإنجاب حتى يتغذوا ويرووا أيام شيخوختهم ولكن حذار من الإسراف في شرب الخمر. إن احتساء الخمر مساءً كمن يحتسي النار أنه يسكر ويضعف ولذلك يجب الإقلال من شرب الخمر ومن تقديمه إلى الأصدقاء.

هذه هي بعض من أوامر ونواهي الشعب الكنعاني الذي سكن بلاد الشام. ولعمري أن هذه الأوامر والنواهي لا تحتاج إلى شرح، إنها تفصح عن مكنوناتها من تقوى وحب للخير والعدل وكرم أخلاق أدت بعلماء الاجتماع إلى وصف رجال كنعان "بالنبلاء".



نصائح حكيمة من العهد الاكادي :

إنه توبيخ في مجال الأخلاق ونصائح حكيمة وإرشادات سليمة وهي التي غني بها الأدب الاكادي في مختلف المؤلفات ذات الأهمية المتفاوتة الدرجات سواء أكانت مجموعة من الأمثال أو الحكايات أو الرموز أو التعاليم الأبوية.

إن إحدى هذه المجموعات من الإرشادات الأخلاقية التي تقدم ترجمتها فيميلي: اشتهرت في بلاد ما بين النهرين القديمة شهرة واسعة حتى أتى ذكرها في رسالة ترقى إلى زمن السرجونيين.

كما ذكرت في رقية كتبت بلغتين تعود إلى العهد الفارسي.

يتوجه أب بالكلام إلى ابنه يحضنه على الاهتمام بأموره الخاصة ويبتعد عن المعاشوات السيئة وألا يفترى على أحد أو يشتبه أو يهزأ به. وأن يكون عطوفاً حتى على أعدائه وأن يغيث التعساء ويحذر خاصة النساء فيما إذا أعطى أهمية إلى عبدة أو في حال زواجه من غانية. وأن يحذر من الأخطار التي يتعرض لها بفعل محاباة الكبار وأن ينتبه في كلامه إلى أنه يقوم بانتظام بواجباته الدينية وأن يكون شريفاً في علاقاته سواء أكانت من حيث الصداقة أو العمل.

إن ما يترأى من هنا ليس سوى قواعد سلوك حذرة أكثر منها تعاليم أخلاقية من مستوى عال . إن الفقرة التي تبحث في الدين لا تعني مطلقاً الورع إلا كوسيلة إضافية في طريق النجاح. ولا تخلو هذه المجموعة من التذكير بحكمة "اهيكار: الشهيرة رغم أنها ليست فاتحتها التاريخية. وبالفعل فإن النبوة والأسلوب الإنشائي والعلم الأخلاقي نفسه، كلها تتبع من مصدر واحد هو الحكمة الشرقية :

" إن من لا يقف في مكانه ولا يراقب بيته

" تصبح زوجته بالنسبة إليه شيطاناً حقيقياً

" من يعاشر السيئين يصبح محتقراً

٢٠- "وله سمعة سيئة بين ذويه

- " لا تقرر شيئاً مع صانع الحكايات
ولا تتشاور مع عاطل عن العمل أو كسول.
فبالرغم من حسن نيتك تصبح من عقليتهم.
لا تقلل من إنتاجك وتتخلى عن سبيلك
٢٥- " وتفسد فكرك مهما كنت حكيماً متواضعاً
ليكن كلامك دقيقاً وحديثك مراقباً
فهنا تكمن قوة الرجل ولتكن شنتاك ثمينتين
وليكن مكروهاً لديك السباب والاعتياب
فلا تتلفظ بهزء ولا برأي منافق
٣٠- " إن من يخترع القصص يعامل باحتقار
لا تذهب إلى المحكمة وتتوقف فيها
وحيث يتخاصم الناس لا تقف
ففي النزاع يكون لك نصيب
كي لا تأتي وتشهد ضدهم
وفي دعوى ليست دعواك سيأتون بك للتأكد
٣٥- " وعند حضور مخاصمة، اذهب ولا تكثر
أما إذا كانت الخصومة تخصك فاطفي فوراً النار المشتعلة
لأن النزاع أشبه بخزان مفرغ
إنه جدار صلب يدفن عدوه
وعندما يتذكرون ما خفي بحق هذا الرجل فسيعترضون عليه

- " لا تكن خبيثاً مع من يفتش عن مخلصتك
ومن أذاك ردّ عليه بالحُسنَى
ومن كان خبيثاً بحقك كن عادلاً معه
ولتبقَ روحك تجاه عدوك صافية.
٥٦- " لا تحقر الضعيف بل كن عطوفاً عليه
لا تحقر من يتعرضون للتجارب
لا تسمنر منهم بتكبر
إذ لهذا السبب يتخلى الإله عن كل واحد
٦٠- " إن ذلك لا يحلو بمشمش فيرد على ذلك بالجزاء
أعطِ خيراً للأكل وجعة قوية للشرب
قدم ما يطلب إليك وأطعم وبارك
بذلك يفرح الإله
إنه يحلو مشمش فيردد عليه بالخير
٦٥- " قدم كل إشارات المساعدة وقدم الخدمات كل يوم
وفي بيتك لا تعطِ أهمية لخدمة
ولا تدعها تصلح مخدعك وكأنها زوجة حقيقية
فإن تركت الخادِمات الفتيات يعملن فلن تعود تعرف تدبير شؤونك
وإن صعدت واحدة إلى السطح فلن تستطيع أنت النزول عنه.
٧٠- " كما يقول عنك أخصاؤك هكذا:
إن البيت الذي تحكمه خادمة يخرّب

- " لا تتزوج من بغي فأزواجها كثر
" ولا من ابنة عشتار التي نذرت نفسها للآلهة.
" ولا من بنت هوى لأن الكثيرين يقتربون منها
٧٥- " فإن وقعت في شقاء فإنها لن تساعدك
" وإن حملوك على المشاجرة فإنها تسخر منك
" والاحترام والخضوع لن يكونا من شأنها
" وإذا أصبحت لها السلطة على البيت فاطردها
" إذ يكون فكرها قد توجه إلى الغرباء
٨٠- " إنها متقلبة: فالبيت الذي تدخله يُدمر وزوجها لا يعود موجوداً " يا بني! إذا
كانت هذه هي إرادة الأمير الذي أنت تخصه
" وإذا كان دلوها معلقاً في عنقك
" فافتح غرفة ثروته وادخل
" لأن ليس سواك من يستطيع ذلك
٨٥- " وسترى في الداخل ثروات لا تقدر
" ولكن إياك أن يقع نظرك على شيء من هذا
" أو تدع رغبتك تقودك إلى اقتراف ما هو ممنوع
" إذ إن القضية تتكشف بعد ذلك
" ويكتشف ما اقترفتته
٩٠- " وإذا تعلم به السيد فإنه يغضب
" ووجهه الضاحك لك يصبح مهدداً
" وعندئذ تقع على عاتقك مسألة صعبة

١٢٧- " لا تقم بوشاية قل دائماً أقوالاً جيدة

" لا تضمّر شراً ولتكن كلماتك كلها طيبة

" إن من يفترى ويقول أقوالاً خبيثة

" ينتظر عبثاً مكافأة شمس.

١٣٠- " لا تدع فمك يهذر، راقب شفّيتك

" ولا تبج بأسرارك وإن كنت وحدك

" فما تقوله مرة ستلقاه بعد حين

" ولذلك درّب فكرك على مراقبة أحاديثك

١٣٥- " قدم الاحترام في كل يوم إلى إلهك

" بالذبيحة والصلاة وبما يلزمه من بخور

" احتفظ لإلهك بالذبائح المفاجئة

" إن هذا يليق بالألوهية

" صلوات وتضرعات وعبادة

١٤٠- " وإذا قدّمت ذلك يومياً فإن قوتك تعود إليك

" وكأنك تسير مع الإله في الصراط المستقيم

" ومن كل ما تعلمته أنظر إلى ما هو موجود على اللوحة :

" أن احترام الآلهة هو بسبب حظوتهم

" والذبيحة تطيل بعمرهم

١٤٥- " ناهيك عن ذلك أن الصلاة تفك عقدة العقوبة

" ومن يحترم الأنوناكي تطول أيامه "الأنوناكي مجموعة من الآلهة الأرضية

"مع رفيق وشريك لا تنقل ...

" لا تنقل سفالات ولا تتفوه إلا بطيبة

١٥٠- " وإذا وعدت أوفِ بالوعد

" وإذا أحدثت الثقة فكمّل ما أنت تستحقه

" حقّق لشركائك ما تشتهيهِ لنفسك

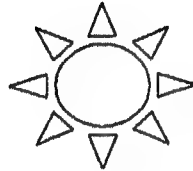
" ومن كل ما تعلّمته أنظر إلى ما تحمل لوحتك

" لا يجوز الحصول على الثقة وعدم الاحتفاظ بها

" إن تعدّ ولا تفي، فهو تجديف على مردوخ

" ومن أجل "إشم-كاراب" ابن "انليل باندأ"

" فالمؤمن بالإله " أيا " يرجوه فتزداد خيراته .



الفهرس

٥ المقدمة
٧ استهلال
١٠ مهد الحضارة السورية
٢٧ صرح الحضارة السورية القديمة
٢٧ حضارة أوغاريت
٣٥ الحاضرة الثانية الكبرى إيبلا
٤٢ حضارة ماري
٤٩ التراثيون الأوائل: ملوك وقواد ورواد فكر
٥٢ التراثيون الأوائل من الملوك
٧٥ موقف النصرانية من الدعوة الإسلامية من ٧٥٠ إلى ٦٥٦ ميلادية ..
٨١ تعاليم الإسلام الرئيسة وتلقيها مع المسيحية
٨٢ الأقباط في مصر
٨٣ في البلاد العربية
٨٩ وصول الإسلام إلى أبرشيات أنطاكية
	من التراث الحضاري السوري
	أمثال وحكم ونواهي وأوامر ونصائح حكيمة
٩٢ كنعاني وسومري وأكادي
	الوحدة الحضارية في سوريا الطبيعية في الأمثال
٩٣ والنصائح والإرشادات في مهد السومرية
١٠١ نصائح حكيمة من العهد الأكادي

من منشورات دار علاء الدين

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------------|
| البيئة وحمايتها . | في الثقافة السياسية |
| ----- نسيم يازجي | ----- د. حسن حنفي |
| الكويت في عيون امرأة دمشقية . | الإعلام والتوعية المرورية . |
| ----- جهينة الحموي | ----- د. شاكر مخلف |
| المنتميات الإيرانية . | الأعمال الكاملة |
| ----- ربحا علاء الدين | ----- ندرة اليازجي |
| تعلم كيف تمارس علم النفس . | التربية السليمة للطفل . |
| ----- سمير عبده | ----- مورييس لين |
| الضابطة العدلية . | خصيصا للحمير . |
| ----- تركي موال | ----- عزيز نيسن |
| العراق صفحات من التاريخ السياسي | الجوانب الجغرافية في حماية الطبيعة . |
| ----- د. كاظم موسوي | ----- د. أمين طربوش |
| الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق | سيد درويش حياته ونغمه . |
| ----- د. عدنان أبو فخر | ----- أحمد بوبس |
| ذكراه في القلب . | الأقصوصة السوفيتية المعاصرة . |
| ----- آنا غارغارين | ----- د. ماجد علاء الدين |
| تعلم الطفل في الأسرة والمدرسة . | الرواية التونسية حتى عام ١٩٨٥ . |
| ----- اسماعيل الملحم | ----- ك.ك. لومونوف |
| صفحات من تاريخ فن الرقص . | رفيق شكري اللحن الأصيل . |
| ----- فائق شعبان | ----- أحمد بوبس |
| ما الأدب المقارن . | كيف نعتني بالطفل وأدبه . |
| ----- د. غسان السيد | ----- اسماعيل الملحم |
| الأمثال الشعبية الفلسطينية . | الواقعية في الأدبين العربي والسوفييتي |
| ----- فوزي حمد قديح | ----- د. ماجد علاء الدين |
| برتراند رسل . | الحسين بن منصور الخلاج . |
| ----- سمير عبده | ----- سمير السعيد |

* طقوس الجنس المقدس	* مفامرة العقل الأولى
..... إنانا ودوموزي فراس السواح
* الشركس في فجر التاريخ	* لغز عشتار
..... برزج سمكروغ فراس السواح
* المراحل التاريخية لتطور النظام الإداري في سورية	* الحدث التوراتي
..... دنحو داوود فراس السواح
* اليمين واليسار في الفكر الديني	* دين الإنسان
..... د. حسن حنفي فراس السواح
* الاسلام والحروب الدينية	* آرام دمشق واسرائيل
..... د. محمد عمارة فراس السواح
* نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر	* جلجامش
..... د. محمد جمعة فراس السواح
* مذكرات عن الانقلاب العسكري	* بدايات الحضارة
..... ميخائيل غورباتشوف عبد الحكيم الذنون
* الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين	* تشريعات بابلية
..... ت.د. ماجد علاء الدين عبد الحكيم الذنون
* الأخوة كينيدي	* تاريخ القانون في العراق
..... ت.د. ماجد علاء الدين عبد الحكيم الذنون
* مذكرات امرأة	* الديانة الفرعونية
..... روشن بدرخان وليس بدج
* من الرماد إلى الرماد	* سويداء سورية
..... عائشة أرناؤوط مجموعة مؤلفين
* ملحمة الزمن	* شريعة حمورابي
..... ت.د. ماجد علاء الدين ت. أسامة سراس

خط الكتاب

يتكلم مؤلف هذا الكتاب : ((صرح ومهد الحضارة السورية)) عن قصة تكون البـطولات الحضارية في التاريخ السوري القديم ، وكيف كان النشوء والتطور عبر مراحل تاريخية متعاقبة ، ويتوقف المؤلف عند حضارات إيبلا وماري وأوغاريت القديمة ، وكيف كان لها دور كبير في تطور الحضارة في منطقة الشرق الأوسط ، بل وكيف انعكست آثار هذه الحضارة على تطور حضارات العالم الأخرى . يتكلم المؤلف عن دور الفرد في تطور التاريخ ، إذ يروي قصص بعض المشاهير من أمثال زنوبيا وهاني بعل وغيرهما من مشاهير العلماء والعظماء .

يفيد هذا الكتاب جميع المهتمين بالتاريخ القديم لسورية وكذلك المدارس في كليات التاريخ .

الناشر

9.43

ع
ص

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

دار علماء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ - ٥٦١٧٠٧١

فاكس : ٢٣١٧١٥٩ - ٥٦١٣٢٤١